الجمهوريـــــة الجزائريـــــة الديمقراطيـــــة الشعبيـــــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية

المدرسة الوطنية الدكتورالية

تخصص أنثروبولوجيا

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

بعنوان

التويزة وأبعادها الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية

- دراسة سوسيوأنثروبولوجية -

إعداد الطالبة:

زيزي سهام

إشراف الاستاذ:

أ. د. سعيدي محمد

أعضاء لجنة المناقشة

د. العربي بوحسون	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د. محمد سعيدي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا
د. قويدر سيكوك	أستاذ محاضر (أ)	جامعة مستغانم	عضوا
د. الغالي بن لباد	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	عضوا

السنة الجامعية : 2011-2012

كلمة شكر و تقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ﴾ صدق الله العظيم .

الحمد لله حمد الشاكرين عل نعمة إتمام هذا العمل المتواضع فنحمده ونستزيده حمدا على نعمتي العقل والإيمان، فما استطعنا رفع اللبس عنه فمن المولى القدير، وما أخطأنا فيه، فمن تقصيرنا وعجزنا، وأملنا أن نكون قد وفقنا في رفع بعض الغموض عن هذا الموضوع.

من لم يشكر الناس لم يشكر الله فنتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المؤطر الأستاذ الدكتور سعيدي محمد على قبوله الإشراف على مذكرتنا، وعلى دعمه ومساعدته لنا إلى غاية إتمام هذا العمل، فلم يبخل علينا بتوجيهاته وخبرته، فشكرا جزيلا .

إلى كل من من دعمني في هذا البحث سواء من قريب أو بعيد ، أساتذة كانوا أو زملاء ، إلى أهالي دائرة بني سنوس خاصة السيدين : الهيلالي محمود ، وعبد الرحيم لقاط، إلى كل من كان سببا في بلوغي في هذا العمل .

إهداء

الحمد لله على إتمام هذه المذكرة

أتقدم بهذا العمل المتواضع إلى من أوصى بهما الرحمن خيرا، إلى سبب وجودي وبهجتي، إلى من رافقاني طيلة مشواري الدراسي، إلى من قال فيهما الله تعالى: ﴿ وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾

إلى الوالدين الكريمين، إلى أمي وأبي .

إلى أفراد أسرتي الكريمة: حياة وزوجها أحمد وابنهما ياسر، إلى فاطمة الزهراء وزوجها وابنيهما محمد أنس ورتاج ميسم، إلى خديجة، خليدة، أسماء، رضوان محمد، أسامة وإكرام.

إلى الاختين الغاليتين عائشة رحوي ونضيرة صحراوي .

مقدمة

تعتبر الأنتروبولوجيا ميدانا خصبا وغنيا في الجزائروتمثل حقلا ثريا من خلال فروعها و أقسامها المتعددة حيث يختص كل فرع فيها بدراسة مواضيع معينة .

ولعل أبرز هذه الفروع نجد الأنثربولوجيا الاجتماعية التي تختص بدراسة البنى و الأنساق الاجتماعية للمجتمعات وأيضا بدراسة النظم في تساندها و تفاعلها كشبكة متكاملة ومنتظمة.لكن هذا التنوع و الثراء الثقافي في المجتمع الجزائري أدى ببعض الباحثين للتطرق للعديد من الظواهر والمواضيع بشكل غير معمق ولا يزال الكثير منها بحاجة للدراسة و البحث و من جملة هذه المواضيع نجد ظاهرة التويزة.

هذه الظاهرة التي تمثل اشتراك جماعة ما من أجل سد حاجات الفرد أو المجتمع تنتشر بكثرة في المجتمعات ذات الأصول القبلية التي تحافظ على العادات و التقاليد و القيم المتوارثة عبر الأجيال.

هذه الأخيرة التي يشتهر بها الريف الجزائري- وهذا لا ينفي تواجدها لوقت غير بعيد في المدن – طرأت عليها عدة تغيرات مست طريقة ممارستها فانتقال الأسرة من الشكل الممتد الذي يحفظ سلطة الأفراد الأكبر سنا إلى الشكل النووي ساهم في تفكيك شبكة العلاقات الاجتماعية داخل البناء الاجتماعي الواحد كما أن الإحتكاك بمجتمعات اخرى أدى إلى ظهور سمات ثقافية جديدة كاستقلالية الفرد و حرية اتخاذ القرارات بعيدا عن الجماعة .لكن الملفت للانتباه هو استمرار ظاهرة التويزة به (الريف الجزائري) على الرغم من جملة التحولات و التغيرات الاجتماعية و التي تغني

عن اعتماد المجهود البشري خلال مختلف الأنشطة اليومية لسكان هذه المنطقة.فما الذي تغير في ممارستها بين القدم و الحاضر؟ وكيف يفسر استمرارها في عدة مناطق من بني سنوس؟

تمـهـــــيد:

تعتبر بني سنوس منطقة غنية بارثها الثقافي و بعاداتها و تقاليدها و طقوسها واحتفالاتها و ممارساتها،اذ تعد ظاهرة التويزة واحدة من بين هذه الممارسات التي لها أبعادها الاجتماعية ، الاقتصادية،الدينية و النفسية.

فالتويزة التي تعتبر مصطلحا شعبيا يترجم معاني التعاون و المساعدة[1] من خلال ارتباط مجموعة من الأفراد على أساس من الحقوق و الواجبات للتغلب على صعوبة و قساوة الظروف الاجتماعية و الاقتصادية ظلت و لا تزال محل اهتمام العديد من ساكنة المنطقة بغية تحصيل ما صعب على الشخص بمفرده.

فممارسة التويزة تشكل علاقات بين الفاعلين الاجتماعيين مما يجعلنا نتطرق للظاهرة من حيث أبعادها الاجتماعية (من خلال شبكة العلاقات الاجتماعية وعملية التنشئة الاجتماعية) و الأبعاد الاقتصادية (من حيث حجم الفائدة التي تعود على الأفراد) والأبعاد الثقافية المتمثلة في العادات و التقاليد مع مراعاة عامل التغير الاجتماعي الذي مس عدة مجالات.

[1] محمد سعيدي.مجلة العلوم الانسانية.العدد 13،2007.ص89

❖ ***أسباب اختيار الموضوع:***

أ- الأسـباب الموضـوعية:

1- التغيرات الاجتماعية التي مسّت المجتمع في بني سنوس و تأثيرها الفعّال في حياة الجماعات و الأفراد.

2- اختصاصنا في ميدان الأنتروبولوجيا التي تهتم بدراسة مختلف الظواهر الثقافية و الممارسات الاجتماعية.

3- كون هذا الموضوع خصبا و لم يتلقّ القدر الكافي من البحث و الدراسة.

4- معرفة مدى تأثير هذه التغيرات الاجتماعية على طريقة ممارسة التويزة في مجتمع بني سنوس.

ب- الأسـباب الذاتيـة:

1- إشباع الفضول العلمي حول هذه الظاهرة.

2- الإصرار على تكوين رصيد معلوماتي بغرض النّفع و الانتفاع منه سواء على المستوى الشخصي أو حتى فيما يتعلق بالحياة العلمية.

❖ ***الدراسات السابقة:***

1- دراسة مالينوفسكي برونيسلا و سنة 1922: و التي كانت بعنوان:

« Les argonautes du pacifique occidental »

و التي عرض فيها تداخل العناصر الثقافية لجماعة" تروبرياند "أثناء وصفه للنظام الاقتصادي، هذا النظام الذي تكفله شبكة الكولا « La kula » دون مساعدة حكومة مركزية، حيث حاول مالينوفسكي تحليل مختلف الأنساق المركّبة من الشّعائر الدينية و الطّقوس و الاحتفالات التي يتم فيها تبادل السلع و كذلك تقديم الهدايا، هذه الشّبكة التي تربط بين مجتمعات مجزّأة تعتبر ركيزة العلاقات

الاقتصادية و الدينية التي تتحكّم في علاقات التبادل في المنطقة اعتمادا على سلطتها و مكانتها الاجتماعية.

2- دراسة مارسيل موس سنة 1925 و التي كانت بعنوان:

«essai sur le don » حول قبائل البرازيل و التي عرض فيها الدراسة الطبيعية العمرانية للمنطقة من ناحية، و من ناحية أخرى حاول دراسة مختلف عاداتهم و تقاليدهم و ركّز على مبدأ « الهبة » التي تعتبر بالنسبة إليهم عملية تبادلية ذات بعد ميثافيزيقي، إذ أن الفرد الذي يمتنع عن ردّ الهدية المعطاة إليه سيخضع لقوّة سحرية، إضافة إلى المبدأ الثاني ألا و هو المنافسة التي تسود احتفالية « البوتلاش ».

3- دراسة محمد بلقاسم حسن بهلول 1985 بعنوان:

القطاع التقليدي في الزراعة بالجزائر قبل و بعد الاستعمار الفرنسي و قد احتوت الدراسة مختلف التغيرات التي طرأت على هذا القطاع حيث تحدث فيها عن الطابع التقليدي للاستغلال الزراعي في الجزائر و أثره على درجة التماسك و الترابط العائلي و قام أيضا بمقارنة بين القطاع التقليدي الزراعي و القطاع المسيّر ذاتيا من حيث استخدام القوّة الحيوانية (أدوات العمل) و من حيث درجة الاعتماد و التمسك بالأرض من خلال دراسة ميدانية.

4- دراسة عبد العزيز رأس المال سنة 1999 و التي كانت بعنوان:

كيف يتحرك المجتمع (نتائج ذلك على العلاقات الاجتماعية) و هي تخصّ أحد الأعراش بالغرب الجزائري (عرش أولاد سيدي مجدوب) و كانت حول الصعيدين الاقتصادي (نمط المعيشة) و الاجتماعي (من حيث الحراك الاجتماعي و تأثيره على الممارسات الاجتماعية للسكان) و كانت

نتيجة البحث أن حالات الثبات الاجتماعي الجيلي أكثر قوة من حالات الحراك الجيلي من خلال الدراسة الميدانية التي أجريت في المنطقة.

5- دراسة بيار بورديو و التي بعنوان:

« La sociologie de l'Algérie » و التي ركّز فيها على تحليل البنية الاجتماعية و الاقتصادية للجماعات السكّانية و على أشكال بناء الأسرة و نظم القبيلة و مختلف العلاقات الاجتماعية السائدة بين أفرادها، كما تطرّق إلى الاتجاه الذي يأخذه التغير الاجتماعي و الذي لا يحيد عن معايير التقاليد المتعارفة بين أفراد العشيرة أو القبيلة ونجد أنه قد أثار نقطة التغير الاجتماعي في الفصل الرابع الذي عَنْوَنَه ب: le fonds commun إذ يحلّل فيه سيرورة التغير الذي يعتبره بطيئا و سمّاه بالرّصيد المشترك و الذي يقصد به الدين الإسلامي و مجموعة القيم المميزة لهذا المجتمع و حصرها في الرصيد الشفهي المتوارث عبر الأجداد.

6-دراسات ويكيديا الموسوعة الحرة سنة 2009 و التي كانت حول مجتمع الأغواط و اعتماده على الحملات التعاونية و التضامن في تحصيل الغذاء فهي دراسة تجسد فكرة الجماعة في النمط المعيشي لأهل المنطقة و لهذا الطرح ما يبرره من انتشار للسكن الجماعي الذي يظم خمسة عائلات أحيانا في بيت واحد و خضوعهم لسلطة كبارالعائلة فيه مما ينتج التداخل و الترابط و التضامن بين السكان الذين يكونون نواة واحدة و يتعاونون على قضاء حوائجهم معتمدين في ذلك على التويزة.

❖ ***أهداف البحث:***

1- معرفة مصدر هذه الممارسة و تاريخها في مجتمع بني سنوس.

2- محاولة معرفة مدى تأثّر ظاهرة التويزة بمختلف التغيرات الاجتماعية التي مست المجتمع في بني سنوس.

3- الكشف عن درجة ممارسة التويزة وعن العوامل المساعدة على استمرارها في المنطقة.

❖ ***صعوبات البحث***:

1- قلّة الدراسات المتعلقة بظاهرة التويزة.

2- بُعد ميدان الدراسة عن منطقة السكن و بالتالي اضطررنا إلى التردّد على دائرة بني سنوس لجمع أكبر قدر ممكن من المعطيات.

3- صعوبة التعامل مع عيّنة البحث مما فرض علينا الاستعانة بأفراد يقطنون بالمنطقة لتسهيل عملية جمع المعطيات.

❖ ***الإشكالية:***

يتميز مجتمع بني سنوس بخصائص عدّة كالقرابة و السكن الجماعي و النشاط الفلاحي و السلطة العرفية و مختلف العلاقات الاجتماعية التي جعلت منه حيّزا خصبا لممارسة التويزة هذه الأخيرة التي تمثل مصدرا للتضامن و اللحمة القبلية عرفت تغيرات بسبب عوامل التطور التكنولوجي و العامل الديمغرافي ولمعرفة مدى تأثير هذه التحولات الاجتماعية على كيفية و درجة الممارسة قمنا بدراسة استطلاعية من خلال توزيع استمارة تهدف إلى التحقق من ميدان البحث (بني سنوس) و كانت من خلال توزيع استمارة استطلاعية ذات 12 سؤال على عينة من المجتمع قدرت بـ 46 شخصا مما أجاز لنا طرح التساؤل التالي:

كيف تؤثر مختلف التغيرات الاجتماعية على ممارسة التويزة في الوقت الحالي في الجزائر (بني سنوس نموذجا)؟

الـــــفـرضيـة:

التغير الاجتماعي على مستوى العلاقات و النظم و القيم الاجتماعية أثّر على ممارسة التويزة و على استمرارها في بعض المناطق من دائرة بني سنوس.

و قد فرعناها إلىثلاث فرضيات جزئية كالتالي:

- ➢ - العادات و التقاليد تفرز في المجتمع عمليات التضامن و التآزر التي تقود إلى ممارسة التويزة.
- ➢ - التنشئة الاجتماعية هي العامل المسؤول الذي ينقل الخصائص الأساسية في المجتمع من جيل لآخر فيضمن استمرار التويزة .
- ➢ - يستمدّ الفكر الجزائري ممارسة التويزة من الدين الإسلامي الذي حفظ استمرارها لحد الآن.

الإطا ر الـنـظـري:

اعتمدنا في بحثناعلى نظرية التغير الاجتماعي هذه النظرية التي ندرس من خلالها التغير كعملية أساسية في السياق البشري و التي تدرس الارتقاء الكيفي و الكمي لعلاقات و لمضمون الحياة الاجتماعية و للمراكز المختلفة للأفراد و الجماعات و ذلك من خلال مقارنة الوضع الحالي لبناء الأسرة و لمختلف العلاقات الاجتماعية السائدة بين أفرادها بالوضع السابق أو الماضي و بالتحديد اعتمدنا النظرية البنائية الوظيفية المرتكزة على ثلاث مفاهيم أساسية هي البناء الذي يقصد به العلاقات المستمرّة بين الوحدات الاجتماعية و الوظيفة التي تعني الجوانب الدينامية داخل النشاط الاجتماعي أمّا المفهوم الثالث فيتمثّل في النسق الاجتماعي المتكوّن بدوره من مجموعة من الأنساق الفرعية بحيث تؤدّي كلّ منها وظيفة معيّنة.

منـهج الـدر اسة:

لا يمكن تحديد المنهج الملائم إلا بعد تحديد طبيعة الموضوع و بغرض الحصول على نتائج موضوعية، اعتمدنا على متابعة ظاهرة التويزة بين الماضي و الحاضر و التركيز على عوامل التغيير و محاولة إيجاد تفسيرات لهذه التحولات.

كما اعتمدنا أيضا على الدراسة المونوغرافية بغية دراسة الظاهرة من الجوانب التاريخية الاجتماعية،الاقتصادية و النفسية و هذا بالاعتماد على الملاحظة بالمشاركة.

المفـاهيـم الاجـرائيـة:

تعــريف التويــزة:

هي مصطلح شعبي يترجم معاني التعاون و المساعدة،فالفعل الشعبي-العامي-"توز" يقترب، بل يترادف دلاليا و رمزيا مما يشيعه الفعلان الفصيحان " أزّى و أزر "، فالأفعال الثلاثة توّز، أزّى و أزر تعني المؤازرة و تقوية الصّف و التعاون و المساعدة و التآخي([1]).

تختلف تسمية التويزة من نشاط لآخر و يعيد بعض الرواة أصل مصطلح التويزة إلى السكان البربر خاصة أن هذه الظاهرة منتشرة في أقطار المغرب العربي و يرجع مصطلح التويزة إلى لفظة ويز البربرية و التي تعني الإعانة و المساعدة أما خرف التاء فهو أداة التعريف لدى البربر فأخذه العرب و أضافوا له التاء([2]).

و بالتالي فهي اجتماع مؤقت لجماعة من الناس لتحقيق هدف مشترك أو لرفع الضرر أو العجز عن الجماعة أو عن فرد من الأفراد أساسه التعاون و التضامن.

---

[1] محمد سعيدي .المرجع السابق،نفس الصفحة.

[2] www.Tawiza.net

تعريف التغير الاجتـماعي:

هو الشعور بالمعالم السلبية للمواقف و الأوضاع الحالية ، دراستها و الانتقال إلى أوضاع جديدة تُحسّن فيها أدوار الفرد و علاقاته مع البيئة التي يعيش فيها ([1]).

أمّا R.Nisbet فيعرّفه على أنّه مجموعة متتابعة من التبدلات التي تحدث عبر الوقت داخل كيان مستمرّ في الوجود و التي تنتج أشكالا من الاختلاف و التباين التي تؤدّي إلى تغيّر البناء الاجتماعي و العلاقات الاجتماعية و الجوانب الثقافية المختلفة كالقيم و المعايير و المعتقدات ([2]).

ومنه فإن التغير الاجتماعي هو عملية الانتقال و التبديل من وضع إلى وضع آخر يهدف إلى تحسين حالة اجتماعية و ينتج تباينا واختلافا عن الوضع السائد من قبل.

تعريف التنشئة الاجتماعية:

التنشئة الاجتماعية بمفهومها الانتروبولوجي هي « جزء من عملية التنشئة الثقافية، كما تشير إلى العملية التي بمقتضاها يتكيف الفرد مع ثقافته و مجتمعه، فتجعله عضوا ذا وظيفة كاملة في المجتمع و بمفهوم آخر تعرف التنشئة الاجتماعية بأنها الأسلوب أو الطريقة التي يستعين بها المجتمع من أجل تكامل أعضائه »([3]).

أما أحمد شفيق السكري فيعرّفها بأنها العملية التي يتم بها نقل الأدوار والقيم والمهارات والمعلومات والمعايير الثقافية إلى الفرد عضو المجتمع »([4]) .

ومنه تعتبر التنشئة الاجتماعية طريقة لنقل الخصائص الأساسية في المجتمع و التي تمكن الفرد من التكيف داخل المجتمع.

---

[1] مراد مرداسي .مواضيع علم النفس و علم النفس الاجتماعي تأليف نظرية و منهجية.ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2006.ص172.

[2] أحمد زايد و آخرون. التغير الاجتماعي.مكتبة الأنجلو المصرية،2000.ص20.

[3] محمد عبده محجوب و آخرون.التنشئة الاجتماعية.دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2005.ص 37.

[4] أحمد شفيق السكري.قاموس الخدمة الاجتماعية.دارالمعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2005. ص 495.

تعريف العادات:

العادة: السلوك المكتسب الذي يشترك فيه أفراد شعب معين، و تعد هذه العادات معاييرا ينظر إليها على أنها ذات قيمة اجتماعية من شأنها أن تحدث رد فعل في المجتمع([1]).

أما فوزية دياب، فتعرف العادات الاجتماعية على أنها ظاهرة اجتماعية تمثل أسلوبا اجتماعيا بمعنى أنه لا يمكن أن تتكون و تمارس إلا بالحياة في المجتمع و التفاعل مع أفراد جماعته([2]).

من خلال هذه التعاريف يتبين لنا أن العادة تعبر عن عملية اكتساب سلوك اجتماعي يتفق عليه الفاعلون الاجتماعيون وهي مختلفة من منطقة لاخرى.

تعريف التقاليد:

هي طرائق جمعية في السلوك، مستقلة في وجودها عن الفرد، تفرض نفسها عليه و تعينه على تقوية الشعور الجمعي و تحقق الاندماج التام بين عناصر المجتمع، هي صنع الماضي و دعامة الحاضر، يقدسها الناس... تمتاز بثلاثة أمور: الاستقرار، الاستمرار و الاحترام و يستنكر كل طرف خارج عليها([3]).

وبالتالي فالتقاليد تعبر عن ممارسات جماعية تمتاز بالتقديس،تنمي و تعزز الشعور بالانتماء للجماعة،وهي طرائق جمعية في السلوك.

تعريف الدين:

يعرفه إميل دوركايم 1912 على أنه « نسق من المعتقدات و المقدّسات، ترجع إلى التقديس الديني الذي يربط الناس معا على شكل جماعات اجتماعية »([4]).

---

[1] إبراهيم مدكور.العادات و التقاليد.مكتبة نهضة مصر، القاهرة، د.س.ص 381.
[2] نفس المرجع .ص 169.
[3] محمد توفيق أبو علي.صورة العادات و التقاليد و القيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية.شركة المطبوعات للنشر و التوزيع، لبنان،2001.ص 26-27.
[4] معن خليل العمر.معجم علم الاجتماع المعاصر.الشروق، الأردن، 2000.ص 388.

أما ماكس فيبر و عالم اللاهوت ب. يثليج فيعرّفان الدين على أنه « استجابة بشرية للأشياء التي تهتم بها بشكل قاطع أو نهائي و هو قانون سماوي سائق لذوي العقول إلى الخيرات و بالذات »([1]) كالأحكام الشرعية على نبينا محمد عليه الصلاة و السلام .

أما مصباح الصمد فقد عرّفه أنه « نظام يجمع بين المعتقدات و الممارسات الشعائرية داخل المجتمع » ([2]).

ومنه فإن الدين يدل على كل معتقد يطغى عليه طابع التقديس،تحكمه مجموعة من القوانين بحيث لا يمكن للفرد مخالفتها أو الخروج عنها مما يؤدي الى ظهور نوع من الترابط بين الأفرا

[1] عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد.موسوعة مصطلحات جامع العلوم.ط1، ناشرون، لبنان،1997.ص 435.
[2] بياربونت و آخرون.معجم الاثنولوجيا و الأنتروبولوجيا . ت . مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع، لبنان،2006.ص 487.

الفصل الأول:

دراسة سوسيولوجية مجتمع بني سنوس

تمهيد:

تمتلك منطقة بني سنوس الواقعة في الجنوب الغربي لولاية تلمسان مجموعة من الخصائص الطبيعية، التاريخية، الاقتصادية و الاجتماعية جعلت من سكانها يحافظون على ارثهم الثقافي وعاداتهم و تقاليدهم رغم التغيرات الاجتماعية التي شهدتها الكثير من الأرياف الجزائرية كالتغير الذي مسّ مختلف النظم و الأنساق والذي أثر على نوعية الأداء الوظيفي لها.

و لدراسة هذه المنطقة سوسيولوجيا لابد من الإلمام بهذه الخصائص و معرفة البنية الإجتماعية لهذا المجتمع مع الإحاطة بمعتقداته، عاداته و تقاليده و طبيعة النظام الاقتصادي السائد به دون أن نغفل عن ذكر درجة التغيير الاجتماعي في هذه المجالات إن وجد.

I- دراســة جــغرافية لمــنطقة بني سنوس:

1- موقعها الجغرافــي :

تقع دائرة بني سنوس على بعد 45 كلم من مدينة تلمسان تحديدا في الجزء الغربي للولاية وتبلغ مساحتها الإجمالية حوالي 37495 هكتار، يحدها غربا بني بوسعيد، شمالا تيرني و جنوبا سيدي الجيلالي، تضم ثلاث بلديات و هي الخميس، بني بحدل و العزايل و تضم مجموعة من القرى أشهرها تافسرة، زهرة، الفحص، أولاد موسى، أولاد عربي، بني عشير، دارعياد، بني زيداز سيدي بوعدي، سيدي العربي و مازر([1])

يحدها شمالا بلدية سيدي مجاهد، غربا بلدية بني بوسعيد، شرقا بلدية بني بحدل و العزايل و جنوبا البويهي و سيدي الجيلالي.

[1] - محمد حمداوي.مجلة إنسانيات.العدد 7، جانفي-أفريل، 1999.ص 25.

2- تضـــاريســـها:

تنقسم دائرة بني سنوس من حيث التضاريس إلى قسمين : 80 % من الأراضي عبارة عن جبال صخرية يتراوح إرتفاعها ما بين 500 إلى 800 م و أعلى قمة بها هي قمة الطاقة (Taga) بإرتفاع يقدر بـ 1675 م و غابات أما نسبة 20 % فهي هضاب .تبلغ نسبة الأراضي المستعملة حوالي 4800 هكتار أي ما يقارب 13 % من المساحة الإجمالية و هي النسبة الصالحة للزراعة نظرا لخصوبة تربتها.تتميز بكثافة أشجار الزيتون و الأشجار المثمرة و الجوز إضافة إلى إنتاج هذه الأراضي لجميع أنواع الخضر.

تقع منطقة بني سنوس وسط مجموعة من الجبال، إذ يقارب ارتفاعها حوالي 84 مترا مما يعطيها ميزة المناخ الحارّ الجاف في الصيف ،أما الشّتاء فهو كثير البرودة نظرا لارتفاع الجبال فيها و كثير تساقطات الأمطار حيث تقدر كمياتها في السنة ما يقارب 550 ملم/ سنة من شهر أكتوبر إلى غاية شهر ماي والثلوج فتتعرّض المنطقة لهبوب رياح غربية تؤثُّر على الزّراعة الجبلية و رياح أخرى شتوية تساعد على تكوين السّحب التي تحمل الأمطار([1])و هذا ما يفسّر كثرة تساقط المطربها، أما فصل الصيف فيغلب عليه هبوب الرّياح السّاخنة.تتغير درجة الحرارة بها فهي محصورة مابين 18° و 27.8 ° أعلاها في شهر أوت و أقلها في شهر جانفي.

[1] علي عمار.ظاهرة التداوي بالأعشاب و النباتات الطبيعية في منطقة عين غرابة،مخطوط ماجستير في الأنتروبولوجيا. جامعة تلمسان.ص 17-20.

تعتبر تربة وادي الخميس من أخصب التّرب التي تحتويها المنطقة فتتنوّع بين التّربة الكلسيّة التي تمثّل المناخ الخصب لنموّ بعض النّباتات و الأشجار كأشجار التّين مثلا، كما نجد مساحات واسعة لنموّ بعض الأعشاب و الحشائش كالسّدرة و الحلفاء و الشّيح و الدّيس و الدّوم و غيرها من الأعشاب التي تستعمل في التّطبيب التّقليدي و بعض الصّناعات التّقليدية كالحلفاء مثلا ([1]).كما توضح الصورة رقم(01).

الصورة رقم(01):منطقة نمو بعض الحشائش

نلاحظ أنّ المنطقة تحتوي على مجموعة كبيرة من الهضاب ،إضافة إلى الجبال التي تكسوها الغابات الكثيفة .نجد الأودية التي تزوّد السّكان بالمياه لريّ الحقول أهمها وادي التّافنة، وادي

[1] أمينة ابن أباجي .منطوق بني سنوس الأمازيغي.مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم اللهجات، 2008-2009. ص 49.

الخميس و عددا من الينابيع التي تصبّ فيه أهمّها "الغار لكحل" ولعلّ هذا ما يبرّر تمركز السّكان على الوديان أو على مقربة من الينابيع، فأحيانا نجدهم على ضفاف الوديان تماما (مازّر و تافسرة) أو على منحدرات الوديان و هم بذلك إمّا على مقربة من الوادي (الخميس، أولاد موسى، أولاد عربي) و إمّا على بعد مسافة من مجرى الماء (الثلاثا) أو على قمم المرتفعات الجيرية (بني عشير) أو محفورة في الكتل الجيرية (بني بحدل) و تكون أحيانا معلّقة في العلوّ الشّديد على المنحدرات (الكاف).تتربع الغابات على مساحات تقدر بـ 205.96 هكتار و هي موزعة على طول السلاسل الجبلية كالتالي:

- شمال الوادي: جبل مازازو، جبل تازمورت، ملال، تاسا و جبل تيصفصافين .
- جنوبا :جبل ماسي، جبل تاشوش و جبل زقاد.

تحتفظ دائرة بني سنوس بطبعها الريفي و هوائها النقي لحد الآن لعدم وجود مصانع بها.

II- النسيج العمراني للمنطقة:

على اعتبار أن المساحة التي تقدر ب 29996 هكتار من مساحة دائرة بني سنوس عبارة عن جبال صخرية و غابات، فان تمركز السكان يكون في 150 هكتار منها و هي تجاور الهضاب أين تتواجد التربة الخصبة و الوديان حيث ممارسة النشاط الفلاحي و هذا ما توضحه الصورة رقم (02). إذ نجد أن غالبية الأسر تعتمد على ما ينتجه حقلها من منتوج للاستهلاك الذاتي أو لبيعه، فهؤلاء الساكنة يقيمون على طول الهضبة نظرا للمناخ الملائم كما يقومون بتربية الماشية على اختلاف أنواعها.

تقدر الكثافة الإجمالية للمنطقة بـ 30 نسمة في الكيلومتر المربع حيث إن هناك ارتفاع في نسبة الولادات منذ الاستقلال نظرا لتحسن الظروف المعيشية، إذ بلغت سنة 1966 قرابة 6316 نسمة أما خلال سنة 1977 فقدرت بـ 8500 نسمة ثم في سنة 1987 بلغت 11256 نسمة ([1]).

أما في سنة 2008 فقدرت بـ 11284 نسمة ثم في سنة 2013 يتوقع أن تصل إلى 12496 نسمة.

تحتوي دائرة بني سنوس على سبعة إبتدائيات ،متوسطة واحدة و ثانوية .يبلغ عدد المتمدرسين الذين تتراوح أعمارهم ما بين ستة و خمسة عشر سنة ب 1090 ذكرا و 999 اناثا و تظل نسبة التمدرس عند الفتيات أقل مما هي عند الذكوربسبب بعد مراكز الدراسة عن مناطق السكن.يبلغ عدد المتمدرسين في الطور المتوسط 1031 تلميذا (440 تلميذة و 591 تلميذا ذكرا) موزعين على 23 قسم بمعدل 45 تلميذا في القسم الواحد.

أما عدد المتمدرسين في الطور الثانوي فيقدر بـ537 تلميذا بمعدل يتراوح ما بين 26 و 41 تلميذا في القسم.

[1] www.beni senous.com

عملت دائرة بني سنوس على رفع التحدي من خلال رفع مستوى التعليم، حيث بلغت نسبة التمدرس لسنة 1995 ما يقارب 89%. فتكون بذلك مراكز التعليم القرآني قد لعبت دورا هاما في تلقين المتعلمين المبادئ الأساسية للتربية الإسلامية إضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم نذكر منها: غيران الخميس، غيران أولاد علي بالفحص، غيران بني عشير، مركز التعليم القرآني ببني بحدل و المغانين و تافسرة و زهرة.

الصورة رقم(02):النسيج العمراني لبلدية الخميس

III- الجانب الاقتصادى:

يتنوع الجانب الاقتصادي ما بين الزراعة التي تعدّ المصدر الرئيسي للكسب في المنطقة و التي تضم كلاّ من الزراعة و تربية المواشي كما نجد الصناعة التقليديّة نظرا للخصائص التي تتمتع بها المنطقة.

فبالنسبة للزراعة التي تشغل نسبة 13 % من المساحة الإجمالية للدائرة تستغل من قبل 1238 مزارع أما نسبة الأراضي الزراعية غير المنتجة فتقدر بـ 0.4 % من المساحة الزراعية تعتمد الزراعة في المنطقة على الخضروات على اختلاف أنواعها و هذا يرجع إلى خصوبة الأرض و خصوصية المناخ و قرب الأراضي من منابع المياه و الأودية. و هذه الأراضي غالبا ما تزرع في فصل الخريف بالشعير كما تزرع باللفت أيضا، ثم نلاحظ أنه لا يكاد يخلو أي حقل من الأشجار، إذ تشتهر المنطقة بزراعة أشجار الزيتون و التفاح و التين و الجوز و اللوز.

كما تشتهر أيضا بنموّ العديد من الحشائش و الأعشاب كالسّدرة و الدّوم و الحلفاء التي تستعمل في مختلف الصناعات التقليدية.

ثم إن تربية المواشي في هذه المنطقة لا تزال مستمرة لحد الآن فنجد فيها تربية الخرفان و المعز ويحرص السكان على استعمال القوة الحيوانية في مختلف الأنشطة اليومية و لعلّ أبرزها نجد الحمير المستعملة في الحرث و حمل المستلزمات الثقيلة لهم وقد أكّد ذلك E.destain ([1]) الذي يرى أن ساكنة هذه المناطق يعتمدون عليها لقضاء مختلف نشاطاتهم، لذلك نجدها متوفّرة بكثرة فيها.

[1] E.Destaing. Revue Africaine. Alger , 1905. p 18.

أما الصناعة فهي تقليدية مقسمة ما بين النساء و الرّجال، فللنساء تعود صناعة الأدوات و الوسائل المرتبطة بفلاحة الأرض و صناعة الأغطية و الحصير، أما الرجال فيعملون على صناعة الفخّار وبعض الأواني الخشبية.

IV- لمحة تاريخية حول بني سنوس:

تجمع منطقة بني سنوس بين مجموعة من القرى التي يعود تاريخها إلى التواجد الأمازيغي فيها و الدليل على ذلك هو وجود اللّهجة الأمازيغية بها، أما إذا بحثنا عن معاني أسماء القرى بها نجد أن تسمية كل قرية كان له علاقة بشيء ما يميّزها، فنجد مثلا أن الخميس سمّيت كذلك نظرا للسّوق الأسبوعي الذي كان يقام بالمنطقة كل يوم خميس.أما تافسرة فهي منطقة جدّ مهمّة من حيث تاريخ تأسيسها القديم و اتّفق العرب على أنها تأسّست من قبل الرّومان و هي تدعى أيضا البرج الرّومي و الذي يمثل بناءا قديما جدّا([1]). وهذا ما توضحه الصورة رقم(03).

الصورة رقم (03) :آثار من الحضارة الرومانية

[1] أمينة ابن أباجي.مرجع سابق. 2009 ص 43 .

أما تاريخ بني سنوس فهو حافل بالمقاومات سواء في مرحلة ما قبل التاريخ التي تتجسد في أسطورة انتصار الملك البربري الليبي شيشناق على الملك الفرعوني رانسيس الثالث بالمنطقة و ذلك في سنة 950 قبل الميلاد، او بعد مجيء الإستعمار الفرنسي للجزائر و الذي تكبد خسائر فادحة بالمنطقة من خلال مقاومة القبائل له بعد سقوط مدينة تلمسان و مجيء كافينياك (Cavagnac) و لارمورسيار(Larmorciére) إذ تشتهر المنطقة باسم الألف شهيد فكانت بذلك محطة دراسة العديد من الاجانب سواء من خلال تاريخها الإسلامي، لهجتها و ثقافتها و لعل أبرز مثال على ذلك نجد عالم الإجتماع الفرنسي إدموند ديستان E.Destaing الذي مكث بالمنطقة طيلة 07 سنوات في الفترة الممتدة ما بين 1900 و 1907 قضاها في الدراسة و البحث.كما تتميز المنطقة بعلمائها فنجد العالم الإمام السنوسي.

أما من حيث الهندسة المعمارية فإن تصاميم بيوت و منازل بني سنوس تعبر عن إرث تاريخي عظيم فمنها ما يعود لعشرات القرون كالزقاق التي تعبر عن أقدم ناحية بالمنطقة إضافة إلى مسعد الخميس و غيرها من الآثار التاريخية.

يتميزالمجتمع في بني سنوس بجملة من العادات و التقاليد التي هي عبارة عن الرّواسب المتوارثة عن الأجيال المتعاقبة على المنطقة، إضافة إلى تميّزها بالطّابع الفلاحي، هذه المؤهلات جعلت من سكان بني سنوس يداومون على الاحتفال بعدة طقوس نذكر أهمّها ما يعرف ب " آيراد "([1]). هذا الطقس الذي يعبر عن رواسب التقاليد البربرية القديمة، له وظيفة اجتماعية تتمثل في تجديد الصلة بين الإنسان و الطبيعة و بين الإنسان و أخيه الإنسان،فهو ظاهرة اجتماعية تتجسد في كيفية ممارسة هذا الطقس (العلاقات القائمة بين مختلف الفئات المشاركة) إضافة إلى كونه ظاهرة للتسلية

[1] آيراد : كلمة امازيغية تعني الأسد وهي دلالة على القوّة التي يتمتّع بها هذا الحيوان و يعود تاريخ ممارسة هذا الطقس لانتصار الملك الأمازيغي الليبي شيشناق على الملك الفرعوني رامسيس الثالث سنة 950 قبل الميلاد خلال معركة جرت في منطقة بني سنو س،إذ يقوم سكان بني سنوس بإحياء هذا الطقس كل سنة في ليلة 12 جانفي، فيستعد السكان من خلال توفير الألبسة و الأقنعة، حيث تقسم الأدوار بين فئة المشاركين. و من جملة هذه الأدوار نجد دور المقدم و أدوار لعابين الدارة، و ككل احتفالية فإن أيراد لا يخلو من الأغاني المرددة ومجموعة العادات و التقاليد التي تميزه. أنظر أمينة ابن أباجي. نفس المرجع ص 44 .

ونجد أن له وظائف أخرى كوظيفة التوحيد و التضامن على اعتبار أنه يلغي كل الحواجز الطبقية بين أفراد هذا المجتمع فيشارك فيه الغني و الفقير من خلال محاولة إيجاد قوانين تضبطهم ، ثم الوظيفة السياسية لهذا الطقس التي تتجسد في مجرّد الاعتقاد بسلطة أيراد من خلال جملة القوانين الممارسة والتي تجعل جماعة المشاركين خاضعة لها(السلطة الرمزية من خلال مبدأ العنف الممارس أثناء الاحتفال)([1]).

و قد شهد هذا الطقس بعض التغيرات بسبب تأثير عدة عوامل نذكر من بينها محاولة إدخال وإضافة أدوار أخرى للأدوار التي كانت سائدة من قبل (كدور الطبيب و المهرج مثلا)،كما تم استعمال أقنعة جديدة مصنوعة إما من البلاستيك أو الجبس بدلا من تلك التي كانت تعتمد في صناعتها على ما هو مأخوذ من الطبيعة فقط وهذه التغيرات لم تستثني حتى الغناء الذي يردّده الأفراد حيث أدخلت عليها الموسيقى الحديثة من خلال بعض الطبول .

[1] E.Destaing. op cit. p18

الفصل الثاني:

التويزة ممارسة بين الماضي و الحاضر

تمهيد:

لقد مر مصطلح التويزة بعدة تطورات حيث كان في كل مرة يدل على تعاون و تضامن مجموعة ما من أجل سد حاجات الفرد الذي يعجز بسبب ظروف معينة.

و انتشرت ممارستها في عدة مجالات خصوصا الاقتصادية منها لما تلعبه من فائدة على الفرد في حد ذاته وعلى المجتمع أيضا.

تعبر التويزة عن تشارك و تعاون عدد من الأفراد لسد العجز الذي قد يصيب الفرد أو الجماعة، فهي بذلك تدل على معاني التماسك و التكافل و التضامن الاجتماعي فجملة هذه المعاني تتجسد خصوصا في البناء التقليدي الذي يتميز بطابع الأسرة الممتدة، لكن في الفترة الأخيرة شهدت هذه البنية الاجتماعية تفككا بفعل الظروف و تطور الحياة في جميع المجالات فاتجه المجتمع في بني سنوس نحو الأسرة النووية و أصبح الفرد يعتمد نفسه أكثر من ارتباطه بالجماعة و خضوعه لسلطة الكبار فيها، فما أهمية التويزة و ما الفرق بين ممارستها قديما و حاضرا.

1- نـشأة التويـــزة:

أخذ مفهوم التويزة عدة مفاهيم قبل أن يصل إلى معناه الحالي، فقد سميت بالنّوبة، الجماعة وإنفلاس فلو أخذنا مفهوم إنفلاس لوجدناه يشير إلى هيئة تمارس مختلف النشاطات الإدارية والسياسية وحتى القضائية وكانت تقوم بمختلف أعمال الحرث والزرع إضافة إلى أعمال البناء وإقامة الأعراس إكرام الضيوف و حتى في الحروب أثناء الاستعمار.لكن هذا الأخير عمل على تحويل هذا العمل إلى نظام السخرة، فأصبح الناس يعملون مجانا .

ثم بعد الاستقلال، رجعت أشكال التضامن والتعاون إلى المجتمعات ففي البداية ظهر هذا المفهوم في الأرياف فقط وعرف تطوّرا في جميع الميادين التّقليدية، فعُرف عند الرجال في أعمال الحرث وإكرام الضيوف والبناء وكشف الطرقات، أما عند النساء فبرز في غسل الصّوف وإقامة الأعراس وغسل الزّرع وتنقيته من الشّوائب ونسج الزّرابي...الخ وتكثر التويزة في الرّيف الذي هو فضاء اجتماعي صغير الحجم يتميّز عن المدينة بخصائصه التي تمهّد الطّريق لقيام مثل هذه الممارسات « تشكّل العناصر المشكّلة للفضاء الرّيفي كالقرابة – السّكن الاجتماعي – النشاط الفلاحي والسّلطة العرفية- العلاقات الاجتماعية التربة الخصبة لظهور ولممارسة التويزة »([1]) .

يتميز الرّيف بعدّة خصائص عن المدينة مما يجعل هذا الأخير ينفرد بانتشار واسع لهذه الظاهرة خاصّة بعد الاستقلال ،أين كان كلّ فلاّح بحاجة لمساعدة الفلاحين الآخرين، فيستدعي جماعة ما لمساعدته، ثم حينما يحتاج الفلاحون الآخرون،تتسارع الجماعة لمساعدته بكلّ ما تملك.

[1] محمد سعيدي. مرجع سابق. ص 91.

إن النشاط المهني الغالب في هذه المناطق هو النشاط الفلاحي المتمثل في مختلف أعمال الزراعة وتربية المواشي (على اعتبار أن هذه النشاطات هي المصدر الأساسي للكسب في هذه المناطق)،فتربية المواشي ترتكز خصوصا على الأغنام والماعز والدواجن، وهذا النشاط يعتمد على جهد كبير، ولا يمكن لفرد أو فردين أن يقوما بهذا العمل لوحدهما فيتوجب طلب المساعدة من الآخرين. وحينما يحتاج فلاح آخر للمعاونة، يهرع الفلاحون الآخرون لتقديم العون، وهكذا أصبح كلّ فرد يحسّ أن عليه دَيْنٌ لابد من قضائه حينما يحتاج إليه الآخرون.

وقد برزت التويزة عند المغاربة أيضا خصوصا عند قبائل" التكنة" التي تسكن بالجنوب المغربي فهذه الأخيرة كانت تضمّ عدّة قبائل مختلفة ممّا ولّد بها صراعات حول من يتولّى المشيخة.وقد شهدت هذه القبائل عدّة صراعات بسبب الاختلافات العرقية أو بسبب التسمية لكن هذا التقسيم لم يخلق انقسامات فيما بينهم بفضل حسن التسيير والتنظيم في مختلف الشؤون الاجتماعية،بالاعتماد على ديوان للتسيير والتنظيم ، هذا الأخير لم يكن يحتوي على قوانين مكتوبة بل كان ينظّم المصالح بين السكان بالقوانين العرفية التي وضعها شيوخ القبيلة ليشكّلوا الالتحام والتضامن والتفاهم بين القبائل وهذه القوانين العرفية ساهمت بشكل كبير في ظهور التلاحم والتعاون والعمل التطوعي الجماعي بين السكان من خلال خضوعهم و احترامهم لها.

ثم بعد دخول المستعمر الفرنسي للمغرب عمل على استبدال هذا النشاط المجاني بنظام السخرة وإجبار المواطنين على العمل وفق نظام الخمّاسة إلى غير ذلك من السياسات بغرض تقليل اللحمة والقضاء عليها.

ثم بعد الاستقلال، عاد العمل الجماعي "التويزة" من جديد، فخلال فترة الثمانينات حاول أبناء منطقة تغجيجت الواقعة في الجنوب المغربي إصلاح العيون والمنابع وحفر الآبار وتضامنوا بعد وقوع

الفيضانات والزلازل وعملوا أيضا على بناء الجسور وتنظيف المقابر إلى غيرها من مختلف الممارسات التي تدلّ على اللحمة والتعاون بين أفراد القبائل.

كما أن من بين الأسباب التي جعلت ظهور التويزة أمرا ضروريا هوالخوف من وقوع تلف المنتوجات الزراعية بانتظارها لوقت طويل في مكان نضجها (المزارع)،فوجب على الفلاح المعني بالمنتوج جمع أكبر قدر ممكن من المتطوعين لضمان سلامة المحصول الزراعي « إن الإنتاج الزراعي حين يأتي ويحين قطافه لابد وأن يسرع الفلاح .....حتى لا يضيع ويذهب سدا غير أن هذا الفلاح صاحب الإنتاج محدود القوة والإمكانيات الأمر الذي يستدعي السرعة والقوة اللازمتين» ([1])

كما أن فكرة العصبية والتعصّب للانتماء قد ساهمت هي الأخرى في نشأة التويزة خصوصا إذا تعلق الأمر بالعائلات الممتدة التي تجمع بينها الروابط القرابية المتينة أي الروابط الأولية التي تجعل من المحيط فضاء اجتماعيا موحدا ومتجانسا ومتشابها على جميع الأصعدة،سواء من خلال النظام الأسري السائد وطبيعة الزواجات (تكون من نفس العائلة فقط "زواج داخلي "مع الخصوع لسلطة الكبار فيه) أومن خلال طبيعة النظام الاقتصادي المتشابه والذي يعتمد على الزراعة وتربية المواشي والرعي.

فطبيعة هذه الظروف تولّد لدى الفرد التعصب لقبيلته وتلبية النداء عند حاجة الآخرين له، حيث يشتهر المجتمع الجزائري بروابط اللحمة والتضامن والتماسك و يتجسد ذلك على مستوى عدة أنظمة، ففي غرداية مثلا و بالتحديد بني يزغن نجد أن نظام العزّابة الذي يترأّسه مجموعة من المشايخ، عمل على تدعيم مثل هذه الممارسات (التويزة) حيث يقوم هذا الأخير بجمع فئة من الأطفال ما بين سبعة و أربعة عشر سنة و يقسّمون إلى ثلاث فئات: فئة تجمع المأكولات من البيوت و تطبخها، فئة أخرى تقرأ و تطالع كتابا معينا و فئة ثالثة تجمع الأوساخ من الحي و بذلك يكون هذا

[1] - محمد سعيدي . المرجع السابق. نفس الصفحة.

النظام قد حقق ثلاث خدمات للمجتمع (تنظيف الحي، الاستفادة من المطالعة بعد محاولة شرح و تلخيص الفئة التي كانت تطالع للفئتين المتبقيتين ما استخلصته من المطالعة ثم الحصول على الأكل).ثم إن المجتمع المزابي يعمل على تكريس الروح الجماعية من خلال توفير لهؤلاء الأطفال مزارع جماعية فبعد الانتهاء من الأكل يجمع ما تبقى ليؤخذ لهذه المزارع التي تحتوي على تربية الدواجن و بالتالي لا يضيع أي شيء.

إن نظام العزّابة يعمل على استمرار عملية التكافل الاجتماعي و التماسك من خلال العمل الجماعي فنجده يسهر على خدمة المسجد من خلال تويزة خاصة به تعرف عندهم بـــ " امسوردان " إذ يجتمع عدد من الشباب و ينظفون المسجد و لهذا النظام دور آخر يتجسد في محاولة توفير الأكل لعابري السبيل أثناء الأعراس، إذ يقام شريط يكون بمثابة منطقة عبور بين المنزل الذي يقام فيه العرس و منزل آخر يجاوره لتسهيل عملية إطعام عابري السبيل.ثم إن للمرأة أيضا تويزة خاصة بها تعرف بـــ " تمسيرزين " و هي عملية غسل الأموات من البنات و النساء و الأولاد دون خمس سنوات.

أمّا إذا نظرنا إلى التويزة في الماضي لوجدناها ضمن المبادئ التي جاء بها الإسلام،ونذكر مبدأ الخراج حيث كان السكان في كل قرية من بلاد المسلمين يتعاونون من أجل سداده وبالتحديد في مصر في أوّل الفتح الإسلامي « فقد جاء في تاريخ مصر لابن عبد الحكم في طريقة الزراعة التي أقرّها عمرو بن العاص أنّ أهل كل قرية كانوا يتضافرون في زراعتها فقد كان أهل القرية يتولون مجتمعين زراعة ما في حيّزها...وزمن يكون عاجزا يقوم غيره مقامه في زراعة ما يخصه » ([1]).

ثم إذا رجعنا إلى القران الكريم لوجدنا أن ذو القرنين الذي كان يتمتّع بالقوة، استعان به قومه لبناء سدّ يحول بين يأجوج ومأجوج«قَالُوا يَا ذا القَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ

[1] محمد أبو زهرة.التكافل الاجتماعي في الإسلام .ط جديدة ،دار الفكر العربي، القاهرة، ، 1991. ص 82.

نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًا»سورة الكهف الآية 94.فأخبرهم بضرورة تعاونهم لإحضار الحديد والتنقيب عنه «قَالَ مَامَكَّنّي فِيهِ رَبّي خَيرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمَا» سورة الكهف الآية 95

ثم مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم وبنائه لمسجد قباء حينما هاجر إلى المدينة المنورة، فكان لا بد من إحضار مستلزمات البناء التي يتطلبها المسجد ، فعمل الصحابة رضوان الله عليهم على إحضارها فتعاونوا في بنائه وتشييده بالحجارة والنخيل وأقاموه رغم صعوبة ذلك. هكذا استمرت عملية التويزة إلى وقتنا الحالي لقضاء ما يصعب على الفرد انجازه لوحده و لرفع المشقة و الضرر و العجز.

2ـ ممارستـــــــها:

إن التعاون من أجل انجاز مختلف الأعمال أمر ضروري في بعض المجتمعات وهو الحال نفسه في بعض المجتمعات الجزائرية التي لا تزال لحدّ الآن تحافظ على هذه الميزة، فدائرة بني سنوس واحدة من بين هذه المجتمعات التي لازال أفرادها يحافظون على مبدأ التعاون ويعملون على تجسيده في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية.

تتميز دائرة بين سنوس بجميع المؤهلات والظروف المتوفرة في أي مجتمع ريفي،فالعوامل الطبيعة من تربة خصبة وأودية ومناخ ملائم ومراعي إضافة للعامل البشري المسيّر لهذه الثروات الطبيعية جعلت السكان يتعاونون على مختلف الممارسات اليومية نظرا لصعوبة الظروف « فالتعاون غير الرسمي بين القرويين في شتّى جوانب الحياة الاجتماعية أحد الخصائص التقليدية للمجتمعات الريفية، ولقد أجمعت الدراسات السّوسيولوجية الريفية على تعدد أشكال هذه الظاهرة في

المجتمعات الريفية وإلى جانب التعاون في العمليات الزراعية، فإن هذه الظاهرة تشمل جوانب أخرى من الحياة الاجتماعية للريفيين » ([1]).

فنجد أنّ الفرد خاضع لمراقبة نفسه بنفسه من خلال إخضاعها لنمط معيشة الجماعة، فلا يستطيع بذلك الخروج عنها ولا مخالفتها وهذه المراقبة التي تتم على مستوى الفرد هي التي تحفظ دوام واستمرار التماسك والتضامن على مستوى الجماعة « وكأن الفرد لا يعيش لنفسه، لكن لأعضاء المجموعة.هذا الاحترام أساسه الحشمة، الخوف من الشيء المعيب، فهناك مراقبة ذاتية من طرف الفرد لنفسه مراقبة مستمرة تحفظ تماسك هذه الجماعة العائلية» ([2]).

[1] د.عدلي أبو طاحون.علم الاجتماع الريفي المدخل و المفاهيم، أنماط التغيير للمشكلات.المكتب الجامعي الحديث، الأزارطة، الإسكندرية، 1997. ص 80.
[2] مصطفى بوتفنوشت.العائلة الجزائرية، التطور و الخصائص الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.ص 65.

وخضوع الفرد لهذا المبدأ لا يجعله يحسّ على الإطلاق أن هناك ضغطا أو قهرا يمارس عليه فيشارك في مختلف الأعمال التضامنية والتعاونية « إذا كانت مبادئ الانقياد وتشابك الحياة الاجتماعية تبدو وكأنها تخنق الحياة الشخصية، سيكون من المفيد أن نشير بأن الشخص لا يحسّ هذا الضّغط كإرغام قاهر من حيث أن المحافظة على التضامن الاجتماعي هو مبدأ له ما يبرّره وحيويّ بالنسبة للفرد نفسه بالمقارنة إلى التعبير عن أصالة الشخصية »([1]) ومنه فإن هذا الشّعور يجعل من التويزة ممارسة معنوية قبل أن تكون مادية من خلال استجابة الفرد لمساعدة غيره دون إرغام أو قهر أو إجبار، فأساسها الإيمان بمبدأ التعاون وتبادل المساعدة في حدود الإمكان وتخفيف الأفراد عن بعضهم البعض.

أما الجانب المادّي لهذه الممارسة فيتمّ بإعلان المتوّز له عن نوع المساعدة التي يحتاج إليها بذكر نوعها سواء (حرث، حصاد، جني ، بناء، إقامة أعراس...الخ) وبإعلانه أيضا عن الأدوات والعتاد الذي ينقصه كمًّا ونوعا بعد قيامه بعملية إحصائية تقديرية، ثم يحدد الوقت المناسب لإنجاز عمله (بذكر اليوم الذي يريد أن ينجز فيه عمله).

فإذا جاء اليوم المتفق عليه، يهبّ جموع المتطوّعين للمكان المتفق عليه أيضا، وهناك تقسّم الأدوار (أي أنّ كلّ فرد من هؤلاء الأفراد يتجه لعمل ما) فيتعاونون في انجاز العمل المطلوب حتى الانتهاء منه مهما كلّف من جهد أو وقت .

وعادة ما يرافق هذه الأعمال نوع من المرح كمحاولة للتخفيف من حجم المشقة و العناء و التعب فيرددون أهازيج وأغاني وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

وما يلاحظ في هذه الهبّات التطوعية هو مساعدة النساء والرجال بل وحتى الأطفال في كثير من الأحيان.

[1] مصطفى بوتفنوشت. مرجع سابق . ص 56.

إن ممارسة التويزة عند الرجال تقتصر فقط على انجاز العمل المعلن عنه أي أنهم يشغلون دورا واحدا في غالبية الأحيان، لكن إذا نظرنا إلى الدور الذي تقدمه المرأة، نجدها تشغل دورا مزدوجا فهي تقدّم يد المساعدة من جهة أثناء الحرث أو الجني كما يتوجب عليها من جهة أخرى أن تقدّم و تعدّ المأكل والمشرب للمشاركين لكن هذا يبقى دائما متعلقا بوجود المرأة داخل نسق القرابة الدموية التي تمنح لها حرية العمل والتنقل بين هذه الجماعات الممارسة للتويزة دون حرج أو تكلّف.

وهكذا وبعد إتمام العمل المطلوب انجازه من خلال التعاون يرجع كل متطوع لمنزله،فإذا كان المتوّزله ذو إمكانيات،فإنه يقوم باستقبال المتطوعين مرّة أخرى ويُعدّ وليمة بحسب قدرته المادية،وتكون على شرف المتطوعين المساعدين له شكرا لهم على ما قدّموه من عون. فإن عجز عن ذلك يكتفي بشكرهم فقط معنويا.

ومنه فإن هذه الممارسة لها بعدان، بعد مادّي وبعد معنوي نفسي لما تخلّفه من آثار إيجابية في نفسية المتطوعين من جهة وفي نفسية المتوّز له من خلال رفع المشقّة عنه، وهذا الإحساس المشترك يزيد من توطيد العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، ويزيد كذلك من تضامنهم وتعاضدهم مع بعضهم البعض و يظهر هذا من خلال النتائج المترتبة عن هذه العملية كالتخفيف من معاناة الأفراد والحفاظ على تماسك الجماعة والمجتمع ووحدته ومحو الفروق الجوهرية بينهم .

أما إذا تطرقنا لها من حيث الجانب المادي، فإن هذه الممارسة (التويزة) تخفّف من معاناة الفرد أو الجماعة من نقص الإمكانيات المادية التي هي في غالب الأحيان السبب الرئيسي للدخول في هذه الممارسة.

3 ـ تطـــــورها:

اتخذت التويزة أشكالا عدّة نظرا لحاجة الناس للمعاونة في مختلف مجالات الحياة فأصبح من الضروري التعاون في قضاء هذه الاحتياجات كإعداد الولائم ، إقامة الأعراس، بناء المساكن وإكرام الضيوف....الخ. ثم توسعت لتشمل الصناعات التقليدية كصناعة الزّرابي ونسجها و توفير ما تحتاجه هذه الصناعةمن مواد ضرورية أولية من غسل للصوف وتنقيته من الشوائب وغزله .وهذا ما توضحه الصورة رقم 04 :

الصورة رقم 04 : تعاون مجموعة من النساء على تنقية الصوف من الشوائب

ثم إذ نظرنا بمعيار طبيعة الجهد المقدم خلال هذه الممارسة لوجدنا أن هناك من التويزة ما يتطلب الجهد الكبير الذي يستدعي عمل الرّجال فيه دون النساء كأعمال البناء مثلا، فهي بذلك تويزة تخص الرجال فقط و في المقابل هناك تويزة تتطلب جهدا أقل حيث يمكن للنساء انجازها كالتناوب على الرعي مثلا وإقامة الأعراس وغسل الصّوف والزّرع وتنقيته ...الخ

لكن هذا لا ينفي مشاركة النساء في بعض أعمال الرجال كعمليات الزّرع والحرث بالمنجل وجلب المياه أثناء البناء و هذه الحالة تقتصر على وجوب وجود روابط اجتماعية متينة كالقرابة الدموية فتحسّ المرأة بذلك أنها ليست غريبة عن هذا الوسط والمحيط من خلال اختلاطها بالرجال وعملها معهم جنبا إلى جنب، فجُلُّ المشاركين والعاملين معها هم من أقربائها.

و هذه الممارسة لم تقتصر فقط على الأرياف، بل انتقلت إلى المدن فأصبحت الجمعيات والمؤسسات التي تستثمر هذه الجهود في مشاريع تعود بالنفع على الجميع.فكان التعاون على مختلف أعمال التنظيف والكشف عن الطرق بعد حدوث الفيضانات وإزالة الثلوج عنها وغيرها من الأعمال. فالتويزة ممارسة جماعية يستجيب لها أفراد الجماعة بكل طاقاتهم والتي تعود بالفائدة على الفرد أو على الجماعة.

يتميز المجتمع الريفي في جميع الأنظمة بعدة خصائص سواء النظام الأسري الذي يتمتع بعلاقات اجتماعية ذات قرابة دموية في غالب الأحيان، أو من حيث النمط الأسري السائد المتميز بالشعور بالوحدة والتكامل التام بين الأفراد في العمل والسكن المشترك إضافة إلى الأنشطة المشتركة أومن حيث الخصائص التقليدية للزواج كتزويج الذكور والإناث في سن مبكرة « والواقع أن الزواج المبكّر لدى الريفيين يستهدف إنجاب أكبر قدر من الأيدي العاملة في الزراعة ذلك إلى جانب كون الأبناء يشكّلون دعما اجتماعيا للأسرة » ([1]).كما تتميز هذه العلاقات بالقوة والتجانس، حيث تعمل الأسرة في تربيتها لأبنائها على الحفاظ على إرث الآباء من جميع النواحي« فإن عملية التنشئة الاجتماعية تعمل على إيجاد نمط ثابت من الشخصية ينتقل من جيل الآباء إلى جيل الأبناء » ([2]).

[1] د.عدلي أبو طاحون. مرجع سابق. ص 73.
[2] نفس المرجع. ص 75.

الصورة رقم 05 :تنشئة الأطفال على التعاون فيما بينهم

يضاف إلى ذلك الخصائص التي تميّز النظام الاقتصادي من ارتباط شديد بالأرض والأدوات الزراعية التي تعتمد بشكل كبير على المجهود البشري والحيواني وعمالة زراعية تعتمد على اليد العاملة المتوفرة داخل الأسرة.أما في حالة نقص الأيدي العاملة المنتمية للأسرة الواحدة فيتم الاعتماد على المساعدة من خارجها كالجيران مثلا يضاف إليها التساوي والتقارب في المستوى المعيشي وانعدام التباين الاجتماعي وبالتالي وجود التجانس بين مختلف السكان.

إن هذه الخصائص تشكل الفضاء الحقيقي لممارسة التويزة ،فهي تزيد من تآزر السكان وتضامنهم وتعاونهم وتماسكهم على اعتبار أنها ممارسة جماعية اجتماعية يستجيب لها كل الأفراد المنتمين إلى نفس الجماعة، فهي مبادلة تعاونية بين هؤلاء الأفراد وهي غير خاضعة لعقود مادّية[1] .

[1] محمد سعيدي مرجع سابق.نفس الصفحة.

و بحكم التغيرات والتطورات التي مسّت المجتمع الريفي في معظم مجالاته وأنظمته، فإن هذا حَتْمًا سيكون له تأثير على كل الممارسات ومن بينها ظاهرة التويزة.

ومن بين العوامل التي ساهمت بشكل كبير في هذا التغيير سواء في بنية النظام الأسري أو النظام الاقتصادي و غيرهما من الأنظمة الأخرى نجد كلا من التطور التكنولوجي والتطور الذي مسّ التركيبة البشرية لسكان بني سنوس قد أثّرا في جميع الأنظمة الاجتماعية.إذ أن إدخال هذه التقنيات والآلات المتطورة إلى الريف يؤدي إلى التقليل من الاعتماد على النشاط والمجهود البشري والحيواني اللذان يعتبران الأساس في العملية الإنتاجية وهذا قبل أن تحلّ محلّها الآلة التي تعمل على الخفض من اعتماد التويزة،حيث أن التغيرات السكانية سواء من حيث التناقص المستمر في عدد الولادات أو من حيث تركيبهم أثرت على طبيعة العلاقات الاجتماعية و هذا يخلق نوعا من الاستقلال الاجتماعي أي الاستغناء عن الآخرين« فإن العلاقات الشخصية الوثيقة بين الجيران أو بين أعضاء الأسرة الواحدة تصبح أقل عمقا وحرارة كلما تحرّر الفرد من الجماعة المحلية » ([1]).

إن التركيبة السكانية لدائرة بني سنوس قد تأثرت بالغ التأثر بفعل عامل النزوح الريفي الذي حدث على مستوى الكثير من القرى، ولعلّ قرية بني زيداز أبرز مثال على ذلك، حيث نلاحظ هجرة أغلبية ساكنيها إلى الخميس أو إلى خارج دائرة بني سنوس بفعل عامل الأمن فتفرّقت معظم العائلات التي كانت تمثل وحدة متماسكة في هذه المنطقة إذ يساعد البعض منهم البعض الآخر في جميع الأنشطة فبُعد المسافة بين مالك الأراضي الزراعية وممتلكاته جعلت البعض منهم يتخلّى عنها وجعلت البعض الآخر يوكّلها لأفراد آخرين لخدمتها ثم يقتسمان الأرباح بعد نضج المحصول.أما القلّة المتبقية فقد حافظت على ممتلكاتها لكن بالتناوب في الاعتناء بها خصوصا ما يتعلق بعملية السقي وأدّى هذا العامل إلى الحدّ من الاتصال بين مختلف الجماعات التي كانت تشكّل قرية بني

[1] سامية محمد جابر.علم الاجتماع الريفي.دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1990.ص 50.

زيداز. وهو الشيء نفسه في العديد من القرى بدائرة بني سنوس .فالتغير في طبيعة النظام الاقتصادي سواء من خلال الاستعانة بالآلات الزراعية واستعمال الوسائل الأكثر تطورا من تلك التي كانت تستعمل من قبل بدل المجهود البشري أو تغير النظام الأسري بإحلال العلاقات الثانوية بدلا من الأولية و الاتجاه نحو الأسرة النووية بدلا من الأسرة الممتدة إضافة إلى تأخر سنّ الزواج عند كلا الجنسين أدى إلى حدوث تغيرات عملت على التقليص من حجم ممارسة ظاهرة التويزة خلال الوقت الحالي.فبعد أن كان المجتمع متميزا باللحمة التي تتعزز من خلال مختلف أشكال التضامن والتعاون التي تتخلّل التويزة ،عملت هذه التقنيات على الحدّ من العلاقات بين الأفراد« فالآلات والنماذج التقنية ليست مجرّد أدوات يستعملها الإنسان لتغيير مجاله الطبيعي والثقافي والاجتماعي بل هي فوق ذلك رؤى وتصورات ضمنية تنعكس على مستوى علاقات الإنسان بالتقاليد » ([1]). فعلى سبيل المثال إذا أخذنا التطور الذي حدث على مستوى الزراعة نجد أن أدوات الفلاحة لم تكن تتجاوز الفأس والقادوم والمحراث الخشبي ،إذ أنه خلال موسم الحصاد لم يكن متوفرا غير المنجل الذي هو أساس الحصاد ثم إن الاستعمار الفرنسي قد جلب معه أداة أخرى خلال دخوله للجزائر تتمثل في المحراث الأوربي المصنوع من الحديد عوضا عن الذي كان سائدا من قبل وهو من الخشب.

و بعد الاستقلال ظهرت الجرّارات والحاصدات بدلا من هذه الآلات البسيطة، لكن في المقابل أثرت عوامل أخرى على الحدّ من انتشارها في الأرياف الجزائرية،حيث لا يستطيع الإنسان التحكم فيها كعامل التضاريس الطبيعية.

فتضاريس بني سنوس والتي تتميز بوجود المزارع إما على الجبال أو في مناطق منحدرة محاذية للأودية ومجاري السواقي يُصَعِّبُ من وصول هذه الجرّرات إليها وتنقلها بين المسالك الوعرة ولعلّ

[1] Abdelkibir Khatibi.Le Magreb comme horizon de pensée, les temps modernes. 1977. p 17.

هذا عامل آخر يفسّر استمرار التويزة في هذه المناطق لحد الآن. وإحلال هذه الأدوات الحديثة بهذه المناطق قد يحدث تغيرات على مستوى العلاقات القرابية، ويحد بذلك من مستوى التفاعل الاجتماعي، فتتجه العلاقات من القوة والتماسك الاجتماعي إلى التباين والتفكك. و نجد أن العلاقات المتينة التي تميز هذه المجتمعات ما هي إلا انعكاس للعصبية لوجود تشابه بين الناس من خلال تشاركهم في بعض الصفات « وذلك أن صلة الرّحم طبيعي في البشر إلا في الأقل، ومن صلتها النَّعْرَةُ على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضَيْمٌ أو تصيبهم هلكة »[1].

وبذلك فإن تطور ظاهرة التويزة على مستوى الممارسة خضع لدرجة التحول الاجتماعي الذي يحدث في المجتمع.

[1] عبد الرحمان ابن خلدون.المقدمة .دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، 1993. ص 102.

4- أهميــة التويـــزة:

إن ممارسة التويزة يعني الحصول على فوائد سواء من حيث الجانب المادي أو المعنوي فهي تجمع بين التعاون في مختلف المجالات وتحفظ التماسك والتآزر بين أفراد المجتمع على اختلاف أجناسهم وأعمارهم كما تزيد من حجم التضامن بين ممارسيها.

فالجانب المادي للظاهرة يتمثل في محاولة التغلب على ما قد يعترض له الأفراد من مشاكل اقتصادية، اجتماعية وغيرها فَتَسُدُّ أحوال العجز والعوز وتعالج مختلف أنواع الضعف فتزداد بذلك قوة ومتانة الروابط الاجتماعية وتخفف من معاناة الأفراد من خلال التكفّل بالفقراء والمساكين،وتنجز الأعمال التي فيها عسر بأقل جهد ومال ووقت ممكن فتعمّ بذلك الفائدة.

أما الفائدة أو النفع المعنوي للتويزة فهو أوسع من المادي بكثير فأساسها التعاون الذي يخلق في نفسية الأفراد الشعور بالوحدة وهذا الشعور يؤدّي بهم إلى التكامل فيما بينهم من خلال أدائهم لأعمالهم،إذ تقسّم الأدوار فيما بينهم فيأخذ كل فرد دورا معينا متكاملين بذلك في أدائها، فيظهر في الأخير هذا العمل أنه قائم على قدر كبير من التجانس والتناسق في المهام.

والتويزة تحافظ أيضا على تماسك المجتمعات إذ أنها نقطة التقاء بين مختلف الفئات من مختلف القبائل و المستويات دون تمييز، فتزداد بذلك شدة الروابط الاجتماعية ويحسّ حينها الأفراد بالتجانس والتقارب فتختفي الفروق الفردية.ويبقى الفرق الوحيد هو في محاولة كل فرد تقديم أكبر جهد خلال المساعدة.

وإذا نظرنا إلى أهميتها عبر التاريخ لوجدنا أن لها بالغ الأهمية حيث ساهمت في منع الاستعمار الفرنسي من مواصلة حملاته التبشيرية التنصيرية، فمثّلت الزوايا سندا ودعما لظاهرة التويزة ومنها كانت تنطلق هذه الممارسة « فحافظت على تماسك المجتمع الجزائري ووحدته، حيث كانت تجتمع

مختلف الأعراس والقبائل من مناطق مختلفة، فتنمّحي بذلك الفوارق الفردية »[1] وهكذا ظل المجتمع الجزائري يحافظ على وحدته وتماسكه خلال فترة الاستعمار الفرنسي بفضل التويزة التي كرّست مختلف مبادئ التعاون والتماسك والتآزر والتآخي بين الأفراد.

أما إذا عدنا لأهميتها من الناحية الدينية نجد أن لها الدور الكبير في المحافظة على علاقات الأخوة وتزيد من متانة وقوة روابط النسب والدم من خلال اشتراك العائلات في الممتلكات كالاشتراك مثلا في قطعة الأرض الزراعية فتكون في ذلك الوحدة والاتّحاد وهذا من خلال العمل أو حتى أثناء اقتسام الغلّة أو الإنتاج في آخر كل تعاون أو حتى من حيث الاشتراك والتّشارك في وسائل وأدوات العمل التقليدية.

وفي المقابل توجد عدّة آيات قرآنية توصي بالتعاون كما أن المولى سبحانه وتعالى أمر عباده بمساعدة بعضهم البعض في جميع مجالات الحياة على اعتبار أن الفرد يظل عاجزا عن قضاء مهامه بمفرده ، فجاءت من بين هذه الآيات الكريمة قوله سبحانه وتعالى:

« وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى وَ لاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَان » ([2]).

وقوله تعالى أيضا:« وَلْتَكُنْ منكم أمّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ([3]).

و نجد أيضا أحاديث نبوية شريفة تعطي الأهمية البالغة للعمل الذي يكون في إطار الجماعات لأنه يقضي على الأحقاد والفتن والأنانية وحب الذات، حيث يقدِّم فيها الفرد كلّ ما يكسبه من جهد مادّي أو معنوي ويعين به من يحتاجه ومن بين هذه الأحاديث النبوية الشريفة نجد أقوال النبي محمد صلى الله عليه وسلم التالية:

---

[1] WWW.LEBLOUVER.COM/22/10/2009/h :17:30

[2] سورة المائدة الآية رقم 03.

[3] سورة أل عمران الآية رقم 104 .

« الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبِنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضَهُ بَعْضَا » متفق عليه.

« إِنَّ اللهَ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ » رواه مسلم.

« مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ » رواه البخاري.

« مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَ تَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى » متفق عليه.

« خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ » رواه الترمذي.

« يَدُ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ » رواه الترمذي([1]).

فكل هذه الآيات الكريمة و الأحاديث النبوية الشريفة توصي بالتعاون إضافة إلى أحاديث وآيات أخرى فهذا الأخير لا يكون ولا يتجّسد إلا في إطار جماعات وهذا ما تعمل التويزة على المحافظة عليه من خلال إشراك مختلف الفئات في ممارسة هذه الظاهرة.

ثم إذا رجعنا إلى الإرث الثقافي الإسلامي والعربي وإلى الحكم المأثورة والقصص الشعبية لوجدناها غنية بمعاني الترابط والتعاون والتضامن ونجد من أشهرها:

1- « المرء قليل بنفسه، كثير بإخوانه ».

2- « اليوم عليا وغدا عليك ».

3- « في الشركة بركة ».

4- « لِّيْعاوْنك بْيَدْ، عاوْنهْ بْزُوجْ ».

5- « واحدْ ما يَغْني الجْماعة ، والجْماعة تَغْني الواحَدْ ».

6- « المْعاوْنَة مْعَ النْصارى وْالقْعودْ خْسارة »([2]).

[1] محمد سعيدي. مرجع سابق.ص95
[2] محمد سعيدي.المرجع نفسه.ص96

فالتعاون على إنجاز ما فيه عسر ومشقة على الفرد بمفرده حتمية لابدّ منها، فلا يستطيع الفرد أن يقوم بما شقّ وصعب عليه لوحده فهو كائن اجتماعي يحتاج لغيره في جميع مجالات الحياة،فيحدث التكامل والتناسق بين مختلف الأدوار والوظائف.

الفصل الثالث:

الدراسة الميدانية

الإجراءات البحثية:

1- العينة :

حجم مجتمع البحث المستهدف في هذا العمل هو دائرة بني سنوس و قد اعتمدنا على المسنين كوحدة إحصائية، أما فيما يتعلق بعملية التعيين، فقد أخذنا العينة العنقودية من خلال أخذ عينة من مجتمع البحث عن طريق السحب بالصدفة لوحدات تحتوي كل واحدة منها على عدد معين من عناصر ممثلة لمجتمع البحث، فأخذنا الجزائر، ثم حددناها أكثر فاتجهنا للجهة الغربية من الوطن، و بغية تحديد حقل البحث و تدقيقه أكثر توجهنا إلى ولاية تلمسان و بالتحديد لدائرة بني سنوس فكان حجم العينة متمثلا في خمسة عشرة حالة من الجنسين و كان غالبيتهم من فئة المسنين.

2-الأداة الميدانية :

لا يخلو أي بحث علمي من الأداة التي يعتمد عليها الباحث بغية جمع المعلومات و المعطيات،لذلك قمنا ببناء مقابلة مكونة من عشرين (20)سؤالا، معتمدين فيها على ثلاث مؤشرات:

1- التنشئة الاجتماعية هي العامل المسؤول الذي ينقل الخصائص الأساسية في المجتمع من جيل لآخر فيضمن استمرار التويزة لوقتنا الحالي.

2- العادات و التقاليد تفرز في المجتمع عمليات التضامن و التآزر التي تقود إلى ممارسة التويزة.

3- استمد الفكر الجزائري ممارسة التويزة من الدين الإسلامي الذي حفظ استمرارها لحد الآن.

فتم التحليل و التفسير في هذا البحث وفقا للطريقة الطولية من خلال عرض كل حالة (مقابلة) لوحدها ثم تحليلها و تفسيرها و أخيرا مناقشة نتائجها.

3-تعريف مجال الدراسة:

تمت هذه الدراسة بدائرة بني سنوس.

4-مدة الدراسة:

بدأت الدراسة الميدانية في شهر أفريل من سنة 2010 و انتهت في 12 أفريل 2011.

المبحث الأول :عرض نتائج الدراسة الميدانية(ملخص المقابلات):

الحالة الأولـــى:

هــذه الحالة هي لرجل عمره 67 عاما، متزوج وأب لستة أطفال، مستواه التعليمي يتمثل في السنة الثانية متوسط نشأ في فرنسا، لكنّه عاد إلى بلدية الخميس ليستقر بها، وتمت هذه المقابلة بعد لقاءين.

فخلال المقابلة الأولى: بدا هذا الرجل قلقا نوعا ما، فكانت المقابلة في مجملها عبارة عن وصف وحديث حول حياته الشخصية، غير أنه لم يطل الكلام بسبب التزامات لم يصرح بها لكنه أبدى استعداده لمقابلة ثانية بعد أسبوع.

أما المقابلة الثانية، قتمت في نفس المكان الذي أجريت فيه المقابلة الأولى (أمام المسجد) مع إصرار هذه الحالة على هذا المكان وقد بدا هادئا خلال كل المقابلة.

الحالة الثانيــة:

هذه المقابلة هي لامرأة مسنّة تقارب (87) سنة، تعيش وسط عائلة ممتدة تضم عددا من أفراد عائلتها وأفراد عائلة أخ زوجها، تعتمد على زراعة الأرض هي وأبنائها لأنه الدخل الأساسي للأسرة، تعيش في منطقة أو قرية سيدي العربي، حالتها الاجتماعية متوسطة، رفضت في البداية التعاون والتعامل معنا لكن مجئ أحد المخبرين برفقتنا وهى من بنات المنطقة جعلتها تدخل في الحديث عن التويزة مباشرة.

الحالة *الثالثـــــة:*

هذه الحالة تتعلق بفلاح عمره 90 سنة، يعيش وسط عائلة نووية دخله بسيط يعتمد على الفلاحة والزراعة، ليس له مستوى ثقافي، أبدى رغبته منذ البداية في الحديث معنا خصوصا عندما علم أن الموضوع هو متعلق بظاهرة التويزة ، فتمت المقابلة أمام منزله بقرية الفحص.

الحالة الرابعـــــة:

تمت هذه المقابلة مع رجل عمره 40 سنة، متزوج بالخميس وأب لطفلة واحدة يعيش مستقلا في منزله البسيط حالته الاقتصادية متوسطة، لديه مستوى علمي مقبول، يتميز بدرجة من الرزانة والهدوء.

لم تتم المقابلة خلال الموعد الأول حيث بدا أنه فقط يريد الاستعلام حول الموضوع المراد التحدث عنه، فضرب لنا موعدا آخر أمام محله الذي يبيع فيه اللحم وكان هذا الموعد خلال اليوم الموالي بعد صلاة العصر، إلا أن هذا الوقت لم يكف لإكمال حديثه، فكان الموعد الثاني في اليوم الموالي لكنه غيّر زمن المقابلة من المساء إلى الصباح أي في حدود الساعة التاسعة صباحا.

الحالة الخامـسة:

سيدة تبلغ 85 سنة،تقيم بالخميس رفضت إعطاءنا أي معلومات تتعلق بحالتها الشخصية، فالمقابلة مع هذه الحالة لم تدم وقتا طويلا، إذ أنها رفضت رفضا قاطعا إعطاءنا أي موعد آخر بغرض معاودة المقابلة لدواعي صحية.

الحالة الســادســـة:

سيدة ذات 45 سنة، تعيش مع عائلتها الصغيرة المتكونة من زوجها و خمسة أبناء (ثلاثة ذكور و بنتين) بالفحص، هتين الأخيرتين متزوجتان و كلاهما تمتلكان منزلا مستقلا عن عائلة أزواجهن و حرصت الأم على أن تسكن بناتها بمفردهن حتى لا تتكرر نفس الأوضاع التي مرت بها (حيث اعتبرت أن العيش وسط العائلة الممتدة يثير الكثير من المشاكل)، لاتعرف الكتابة و لا القراءة بدت متوترة نوعا ما أثناء المقابلة و ازداد حماسها حينما تحدثت عن ضرورة الانفراد بالمنزل سواء بالنسبة للذكر أو الأنثى.

غيرت سكنها من بني زيداز إلى الفحص، لكنها تتردد على بني زيداز لخدمة أرضها مع زوجها.

كان من المفروض أن تتم المقابلة من خلال موعدين، لكن هذه الحالة رفضت لقاءنا خلال الموعد الثاني.

الحالة الســابعة:

رجل مسن يبلغ 75 سنة، صعب المزاج، مستواه الاقتصادي متوسط يعيش في زهرة، يشتغل في حقل مشترك بين أفراد العائلة، في بداية هذه المقابلة رفضت هذه الحالة التعامل معنا، فاضررنا لربط موعد آخر معه بعدما أفهمناه أن الغرض من المقابلة هو البحث العلمي فقط.

خلال الموعد الثاني توجهنا إلى المكان المتفق عليه ألا و هو الحقل، لكنه ألغى المقابلة مرة أخرى بدافع المرض و التعب و بعد إلحاح منا تمكنا من أخذ موعد آخر مع هذه الحالة و ذلك بتغيير مكان المقابلة من الحقل إلى المسجد.

و خلال اليوم المتفق عليه و بعد صلاة الظهر أبدى كامل استعداده خصوصا بعد دخولنا في صلب

الموضوع وأعطيناه فكرة عن طبيعة الأسئلة، كما دلنا على سيدة أخرى كانت و لا تزال تمارس التويزة في منزلها و بذلك نكون قد ربحنا الوقت من خلال تعيينه لهذه الحالة لإجراء المقابلة معها.

بدا مُتوتِّرًا، تميزت غالبية إجاباته إما بالبطء و التمعن في السؤال قبل الجواب و إما بالتردد في الإجابة.

الحالة الثامـــــنة:

سيدة عمرها 75 سنة منزلها الحالي ببلدية الخميس و لها منزل آخر بقرية زهرة، تسكن رفقة حفيدتها التي تبلغ من العمر 21 سنة إضافة لزوجها بعد استقلال أبنائها الثلاثة بمنازلهم الخاصة بهم تملك عدة حقول بقرية زهرة منها ما هو ملكها الخاص و منها ما يرجع ملكيته لزوجها.

الحالة التاسعـــــة:

سيدة تبلغ 82 سنة، تقطن بقرية بني زيداز، منزلها بسيط بعضه مبني بأدوات بسيطة كالطوب و الحصى، سقفه من الخشب و الطوب و البعض الآخر قد أدخلت عليه تحسينات من خلال حصول هذه العائلة على قرض لإعادة ترميم منزلها، و هي تعيش رفقة ثلاثة من أبنائها و بنت واحدة.

تعتمد في كسبها على ما تنتجه أرضها من محاصيل إضافة إلى تربية النحل، و هذا العمل يقوم به واحد من أبنائها و هو الابن الأكبر، أما الولدين الباقيين فأحدهما يعتمد على سيارته التي يعمل بها كسائق أجرة إضافة إلى مساعدة أخيه في عملية نقل المحاصيل إلى السوق لبيعها، أما الابن الأصغر فلا يزال يزاول دراسته بالجامعة، أما البنت فهي ماكثة بالبيت تعين أمها في الشؤون المنزلية.

الحالة العـــاشرة:

هي عبارة عن مشاركة فعلية في التويزة التي تخص عملية وضع سقف لإحدى المنازل بالفحص و هذا المنزل يعود لأحد أفراد العائلة التي تسكن بالخميس حيث قررت هذه العائلة تزويج الابن الثالث ،فوجب على الابن الأكبر ترك المنزل و الانفراد بسكن خاص يضمه و أبناؤه الأربعة حيث دامت يومين و هذا من خلال تقديم المساعدة للنساء مع ملاحظة ما يقوم به الرجال.

و تعتمد هذه العائلة على بعضها البعض لتحصيل دخل ضعيف لا يكاد يسد حاجاتها الضرورية من خلال تعاونهم في تحصيل بعض ما ينتجه حقلهم المتواضع، أما الأخ الأصغر الذي تعمد العائلة لتزويجه، فيشتغل في كراء جهاز الغناء الذي يعرف حاليا بـ:(Disc). وهذا يدل على سوء الأحوال المادية والتي جعلت هذا الأخير ينظم التويزة لاستكمال بناء منزله.

الحالة الحـــادية عشر:

هي امرأة متزوجة ذات 64 سنة تسكن بالخميس رفقة زوجها الذي كان من المفروض أن تجرى معه هذه المقابلة، لكنه رفض لآخر لحظة بعد أن بدا قلقا متوترا نوعا ما يتحرك بواسطة الكرسي المتحرك بعد حادثة سقوط أحد جدران المباني عليه أثناء تقديم العون فقمنا بالمقابلة مع زوجته التي أجابت عن بعض الأسئلة و أهملت بعضها الآخر معبرة عن ذلك من خلال صمتها.

الحالة الثانية عـــشر:

سيدة تبغ 72 سنة مستواها الاقتصادي مقبول تعتمد على دخل زوجها الذي اشتغل جنديا، مستواها الثقافي جيد تجيد اللغتين العربية و الفرنسية على اعتبار أنها درست أثناء تواجد الاستعمار، تتميز بقوة الذاكرة تصادف وجودنا عندها بمجئ ضيوف فدامت هذه المقابلة ساعة مما اضطرّنا لأخذ موعد ثان خلال اليوم الموالي دام ثلاث ساعات و نصف.

الحالة الثـالثة عشـر:

هي عبارة عن مشاركة في إحدى التويزات الخاصة بعملية التحضير لإقامة عرس فتاة بمنطقة الفحص، و تمت مع العديد من الأشخاص الموجودين خلال الاحتفال مع الاعتماد على الملاحظة المباشرة و قد دامت ثلاثة أيام (الأربعاء، الخميس و الجمعة).

الحالة الــرابعة عشر:

رجل مسن ذو 75 سنة يقطن في زهرة مستواه الاقتصادي بسيط، يعتمد دخله على ما يجنيه من حقله من خلال الاستغلال الشخصي أو من خلال تسويقه في سوق الخميس، لديه أربعة أبناء أكبرهم سنا يقوم بحفظ القرآن الكريم بوهران و المتوسط يساعد والده أما الابن الأصغر فقد تعمد الدراسة بالتكوين المهني لولاية تلمسان بقصد مرافقة أخته التي تدرس في الجامعة. تحصل على هذا الحقل من خلال اقتسام الإخوة و الأخوات ما تركه لهم والدهم حيث قامت أختاه المتزوجتان في تلمسان ببيع حصتيهما لأخيهم الذي أجرينا معه المقابلة.

الحالة الخامسة عشر:

سيد يسكن بقرية أولاد موسى يبلغ من العمر 60 سنة، مستواه الاقتصادي متوسط، مستقل بمنزله مع أبنائه الثلاثة المتزوجين، سكنه مجاور لسكن أخويه، يمتلكون مساحة معتبرة من الأراضي الزراعية، يعتمدون عليها لسد حاجاتهم إلى جانب بيع الفائض من خلال تعاون هذه الحالة مع إخوته و أبنائهم في حرثها و زرعها و التناوب على سقيها.تمت هذه المقابلات في مراحل و سبب الانقطاع هو الانشغال بجمع البطاطا، أما مستواه الثقافي فهو مقبول خصوصا إذا علمنا أنه خلال مرحلته التعليمية لم يكمل إلا السنة الثالثة ابتدائي نظرا لصعوبة الأحوال المادية.

المبحث الثاني:تحليل و تفسير النتائج:

تحليـل الحالــة الأولــى:

تعريف هذه الحالة للتويزة كان من خلال قوله:

"C'est quelque chose de benevole"، فوظيفتها قد تغيرت بين القدم والحاضر، فقد كانت مجانا بقصد فعل الخير في القدم " إِيهْ بَكْرِي كَانُوا يْتْعاَوْنُوا وكانت المحبّة، كانوا يتعاونوا وقت المحبة، الحرب وحتى النساء " .

فقد ربط بين التعاون والمحبة التي تقود إلى التآخي، فتنشأ بذلك قرابة اجتماعية بين الأفراد حيث يؤكد ذلك محمد أبو زهرة في قوله : « و كان ذلك الإخاء قرابة اجتماعية تجعل الأخ يعين أخاه في الله وفي المجتمع كما يعين أخاه في الدم والقرابة »([1]) فيتم بذلك التجانس بين الأفراد مما يسهل التعاون فيما بينهم.

إن تنشئة الأبناء على تقديم المساعدة والعون للآخرين بالنسبة إليه يعود إلى طبيعة تنشئة الوالدين وطبيعة الأسرة « فالأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع التي يبدأ منها التطور، وإنها الوسط الطبيعي الذي ترعرع فيه الفرد » ([2]).

وإمكانية تربية الأطفال على المشاركة في التويزة في الوقت الحاضر أمر ضئيل إذا ما قورن بالماضي، فالثقة بين الأفراد قد نقصت سواء بين الرجال أو النساء فقد قال من جهة أن (الرجال كاين الملاح وكاين القباح، وكاين الّلي ما يتيقوش فيك وكاين الناس البرّانييّن خير من " la famille ")ومن جهة أخرى أن " النسا واعرين وحتى احد ما يقدر يعرف أمه " ، بمعنى أن انعدام الثقة بين الأفراد جعلتهم يعرضون عن تعليم أبنائهم تقديم العون، فالمحبة والثقة بين الأفراد

[1] محمد أبو زهرة مرجع سابق. ص 82.
[2] السيد عبد العاطي و آخرون.الأسرة و المجتمع. ط.1،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003.ص 21.

بالنسبة إليه أمران ضروريان لتنشئة الأفراد على تقديم المساعدة، هذا من ناحية.

أما من ناحية أخرى فإن مشاركة الأطفال في التويزة هي من خلال الدور الذي يقومون به وذلك بإعلام فئة الكبار بموعدها ومكانها " الآباء يزيفطو أبنائهم لعند الناس باش يَعَلْمُوا بلي فلان عنده التويزة" و بذلك فهو يرفض الانفراد في انجاز الأعمال لأنه أمر غير محبّب، لكنه في المقابل يشترط توفر شروط وظروف أخرى لإشراك الناس في مختلف الأعمال، فلابد من إتقانهم للعمل ولابد أيضا من جدّيتهم، فالعمل الجماعي عمل عظيم لكنه غير كفؤ إلى حدّ بعيد و غير متقن ومن النادر أن تنجز أي مهمة مثلما ينجزها العاملون مدفوعي الأجر. لذا فالتعاون في انجاز الأعمال يخفف الكثير من المشقة والعبء لانجاز ما صعب على الفرد إتمامه لوحده وهذا على جميع الأصعدة سواء الاقتصادية أو الاجتماعية... الخ، لكن هذا التعاون مرهون وقائم دائما بشروط كأن يكون مجانيا وهذا النوع من التعاون هو الذي يخلق في نفسية الأفراد الراحة والطمأنينة ، فتزداد اللحمة بينهم ويزداد التماسك وتنشأ الأخوة، وقد أعطى لنا مثالا حول إخوة أشقاء كانوا يعملون منذ الصباح حتى المساء فيقومون بذبح المواشي للناس صبيحة عيد الأضحى ويكون ذلك مجانا دون مقابل .فتنشئة الأفراد على تقديم العون لمن يحتاجه أمر عائد إلى الوالدين وهما اللذان ينقلان لجيل الصغار مشاعر المحبة التي تؤدي إلى التآخي والتماسك.

أما تقديم المساعدة لأحد المحتاجين من خلال التويزة بالنسبة إليه في الوقت الحالي فهو أمر مشروط، فلابدّ من انتظار المقابل كمًّا وكيفا إذا احتاج هذا الشخص بدوره إلى المساعدة لانجاز أعماله، فهو من جهة يرى أن التويزة مجانا (أي عدم اقترانها بشيء مادي كالأجر مثلا) لنشر المحبة والتآخي ويرى من جهة أخرى أنها المقابل الذي يتجسّد من خلال ردّ المعروف بالمثل وقت الحاجة حيث ترى نسبة 55,54 % أن تقديم العون يرتكز أساسا على المقابل فهي مقارنة بين

التويزة ما بين الماضي و الحاضر وهذا الاختلاف يرجع إلى التطورات وإلى التحولات في جميع المجالات، فعلى مستوى الأسرة مثلا حدث تحول من الأسرة الممتدة والمتميزة بقوة الروابط الأسرية من خلال الإقامة والأنشطة المشتركة التي تربي في الفرد حب المشاركة على المشاركة في مختلف أعمال الكبار دون أن يحسوا بالإلزام إذ أن « الفرد يستمد مكانته من الأسرة بأجمعها ولذا فإن المكانة نسبية جماعية وليست فردية تحصيلية »([1]) أما حاليا أصبحت بدل الأسرة الممتدة،الأسرة النووية (التي تتميز بالعلاقات الثانوية بدل الأوليّة وعلاقات القرابة المتينة، وتتميز أيضا بالاستقلالية عن سلطة الكبار) وبالتالي في حالة تنظيم تويزة ما فإن المتوز له يستعين بالعمالة من خارج الأسرة أكثر من الاستعانة من داخلها، حيث وجدنا أن نسبة 85 % من المشاركين في التويزة ينتمون إلى خارج الإطار العائلي لكن تقديم العون بالنسبة لهؤلاء الأفراد الذين يستعين بهم صاحب التويزة يبقى دائما متعلقا بالمقابل في حالة الحاجة.و هو في الغالب مادي.

إن ظاهرة التويزة لا تقتصر فقط على الرجال وإنما تمس حتى النساء لكن حجم المجهود الذي تقدمنه يبقى دائما متعلقا دائما بتكوينهن الطبيعي وقدرتهن على تحمل المشاق، فلا يرغمن على العمل وسط الحقول وحمل ما يفوق قدرتهن، فإن شاركن في أعمال الرجال فلا يتعدى ذلك مجرّد حمل الماء أو الحصاد بالمنجل لوقت محدد، أو تقديم المأكل و المشرب للعاملين...الخ.فيتوجهن بذلك نحو الأعمال التي تتطلب أقل جهد ممكن.

ونجد أن النساء و الرجال يختلطون ببعضهم البعض أحيانا، فالتويزة ليست حكرا على الرجال فقط ، بل تشمل حتى النساء وهذا الاختلاط غالبا ما نجده في حالات التويزة التي تسودها العلاقات الأولية أو العلاقات الاجتماعية ذات القرابة الدموية، فيكون بذلك مكان إقامة التويزة فضاء التقاء

[1] عدلي أبو طاحون.مرجع سابق. ص 74.

أفراد ينتمون إلى نفس النسق القرابي ، بمعنى أن هذه العمالة التي ستقوم بالتويزة هي من نفس العائلة وبالتالي يشترك الرجال والنساء معا.أما حاليا وبوجود الأسرة النووية، فإن صاحب التويزة لا يستدعي أقاربه فقط بل حتى الجيران وهذا ما يفسّر عدم مشاركة النساء في بعض الأعمال التي يقوم بها الرجال لكن تبقى التويزة الخاصة بالنساء قائمة لحدّ الآن في مناطق من دائرة بني سنوس كزهرة و تافسرة اللتين تكثر فيهما العلاقات القرابية الأولية إضافة إلى عدة أماكن من أولاد موسى و الفحص و سيدي العربي خصوصا إذا تعلق الأمر بعمليات جني الزيتون و إقامة الأعراس و غسل الصوف و تنقيته.

شهدت التويزة عدة تغيرات في ممارستها فبعد أن كانت متعددة الوظائف كسرعة التكفل السريع بالإنتاج ومساعدة الناس الفقراء أصبحت وظيفتها مقتصرة على الناس البسطاء الذين لا يمتلكون الإمكانيات المادية لانجاز مسألة أو عمل ما كما أن توفر الوسائل والتكنولوجيا الحديثة قلصت منها إلا أن ارتفاع سعر هذه الوسائل أو كرائها بات أمرا مستحيلا لبعض هؤولاء فالفرد البسيط لا يستطيع شراء هذه الوسائل ولا كرائها، فيتحتّم عليه أن يجد وسيلة أخرى تتجسّد في التويزة على حد قول هذه الحالة" الواحد باش يكري الأدوات غالية عليه، C'est pour ça يمشي للتويزة ".

والتويزة التي لا تزال مستمرة لحد الآن عند الرجال هي تلك التي تتعلق بالبناء، والقليل منها ما يتعلق بالزرع والحصاد نظرا لوعورة التضاريس التي تتميز بها المنطقة .كما أن المستوى الاقتصادي للأفراد يلعب دورا رئيسيا في تحديد طريقة جني المحصول الزراعي فالفرد البسيط حتما سيتجه لما يكلفه ثمنا قليلا.

أما عند النساء، فلا تزال مستمرة من خلال عمليات غسل الصوف وتنقيته وغزله، وإقامة الأعراس لكن هذه الأخيرة (إقامة الأعراس) بدأت تشهد بعض التطور هي الأخرى، فمثلا أصبحت عملية

غسل الأواني في الولائم والحفلات لا تتم إلا من خلال مقابل مادي ، أي أن صاحب العرس عليه أن يبحث عن امرأة تقوم بغسل الأواني ويعطيها مبلغا من المال مقابل عملها.

و فيما يخص التحضيرات التي تسبق الأعراس وأثناءه فلا يزال مجتمع بني سنوس يحافظ عليها.

إن عملية الإشهار للتويزة غالبا ما تكون من خلال الأبناء الأصغر سنّا، سواء بالنسبة للنساء أو الرجال، فالأبناء هم من يعلِمون الناس أن فلانا سيقوم بالتويزة بالموعد والمكان المحددين " الآباء يزيفطوا ولآدهم لعند الناس باش يَعَلْمُوا بللي فلان عنده تويزة "، وعادة ما اقترنت الممارسة بترديد أغاني معينة وتهليلات وتكبيرات اعتقادا من الناس أنها تجلب البركة لهم ، وتبرّكا أيضا بالموسم الجديد المقبل، لكن بالنسبة لهذه الحالة فإن ترديد الأغاني مضيعة للوقت و يرى أيضا أن الإعراض عن ترديدها يجعلهم يتقنون عملهم، ويسرعون في إنهائه." وبعد الانتهاء يجمع المتوّز له الأدوات ويرجع كل أداة لصاحبها، ويقوم بهذا الدور أيضا الأبناء الأصغر سنّا، ويبقى في الأخير عملية شكر " التّوازة " أو المتعاونين فتكون من خلال ردّ المعروف بالمثل إن احتاج أحدهم إذ يقوم كل مستفيد بالمبادرة للمعاونة " اليوم عليا وغدا عليك ".

إن الحاجة الماسة للمساعدة تجعل صاحب التويزة يسرع في جمع أكبر عدد من العمالة التي تساعده لتسريع وتيرة العمل، فهو لا يبالي بطبيعة هؤلاء الأفراد الذين قدموا لمعاونته حتى وإن كانوا من خارج منطقته، وبالنسبة إليه فإن تقديم المساعدة لمن ينحدرون فقط من نفس العائلة أمر غير مرغوب فيه فهو يجلب العزلة ويجعل الآخرين يعرضون عنه، فإذا كان محتاجا يتلقى المعاملة بالمثل " ماشي مليح اللي يعاون غير la famille، والمسكين اليوم ما يجيولهش كيما اللي عنده " فحجم العمالة (المتوّزين) خلال عملية التويزة يعود أيضا للمركز الاجتماعي الذي يشغله المعني بالتويزة في المجتمع حاليا، فإن كان ذو مركز عال ورفيع نجد أن حجم العمالة (اليد العاملة

المساعدة) كبيرة إذا ما قورنت بمن يهبّون لمعاونة الفرد ذو المركز البسيط " القِلّيلْ ما يجيولهشْ بزّاف "، كما أن حضور الشخص أمر لابدّ منه خلال هذه الممارسة، فإن حدث وأرسل شخص ما أدواته فقط ولم يحضر، عليه أن يقدم تبريرا مقنعا، فإن لم يستجب ولم يكن لديه دوافع فإنه سيتلقى نفس السلوك إذا كان محتاجا للمساعدة و على حد تعبير هذه الحالة فان " العين بالعين ، والسنّ بالسّن" بمعنى أن هذا الفرد الذي امتنع عن تقديم المساعدة دون دوافع سيتلقى نفس السلوك إذا طلب المساعدة لقضاء لوازمه.

تـحليـل الحالة الثانيـــة:

التويزة بالنسبة لهذه الحالة هي تعاون كل أفراد العائلة لقضاء شيء ما ولقد اختفت في الكثير من قرى بني سنوس إلا أن قرية سيدي العربي لازالت تحافظ عليها لحد الآن سواء بالنسبة للنساء من خلال مختلف الأعمال التي يقمن بها أو بالنسبة للرجال من خلال أعمال الزرع والحصد وجني الزيتون وأعمال البناء وقد اختفت هذه العملية في فترة من الفترات في هذه المنطقة وهذا يعود لهجرة و نزوح غالبية هؤلاء السكان (سيدي العربي) بسبب الظروف الأمنية التي جعلتهم يغيرون مناطق سكنهم باتجاه الخميس أو حتى باتجاه مدينة تلمسان، فسيدي العربي حسب هذه الأخيرة كانت تحتوى على عائلتين تقريبا، لكن كل عائلة تظم عددا كبيرا من الأفراد (عائلة ممتدة تحتوي غلبا على الجد و الجدة، الأبناء و زوجاتهم و الأحفاد) ، ثم بعد رجوع الأمن لهذه المنطقة لم يعد إلا عدد قليل منهم، لكنهم لا يزالون يحافظون على ممارسة التويزة بالنسبة لكلا الجنسين.

إن هذه الممارسة عند ساكنة (سكان) سيدي العربي تقتصر فقط على أفراد العائلة الواحدة على اعتبار أنهم عائلتين فقط، لكن بالنسبة لهذه الحالة لا تمانع أن تكون هناك مساعدة خارجية لمن أراد مد يد العون و هو نفس ما جاء في الحالة الأولى (المقابلة الأولى) لكن إحضار العمالة من خارج

الإطار العائلي في هذه المرة ليس ضرورة محلة على اعتبار أن العائلتين لهما اكتفاء ذاتي في الموارد البشرية، هذا الأخير جعلهم يعتمدون على أنفسهم فقط و هذا عكس الحالة الأولى التي ترى أنه على المتوّز له أن يستعين بالعمالة الخارجية نظرا لتفكك الإطار العائلي الممتد.

إن التعاون في القضاء على مختلف مشقات الحياة وممارسة ظاهرة التويزة لم يمسها أي تغيير بالنسبة لسكان سيدي العربي، فالقلة المتبقية بهذه المنطقة لا تزال تحافظ عليها كما كانت في الماضي فالنساء لا يزلن يتعاون في الأعراس من خلال تقسيم الأدوار، وكل واحدة منهن تشغل دورا معينا إلى غاية الانتهاء من العمل وإتمامه.وهذا ليس مقتصرا فقط على جنس النساء، بل يتعدى ذلك إلى الرجال إذ يتعاونون في البناء والزرع والحصد وجني مختلف المحاصيل، إلا أن هذا الأخير (الجني) يعتبر عملية مشتركة بين الجنسين نساء ورجالا حيث أن جميع المتعاونين هم من عائلة واحدة فلا وجود لموانع في اختلاط النساء بالرجال أثناء إنجاز العمل المطلوب بغرض التخفيف من حجم المشقة والمعانات المادية والمعنوية .

أما بالنسبة للسكان الذين انتقلوا من هذه المنطقة لم يقوموا ببيع ممتلكاتهم، إذ لازال البعض منهم يداوم على زيارة وتفقد ممتلكاته خصوصا الزراعية منها ويداومون على التناوب في سقيها إلى غاية نضج المحصول ثم يجتمعون للحصاد ويقومون بعمليات الجني، فيستهلكون ما يحتاجونه ويبيعون البعض الأخر، فهؤلاء السكان الذين انتقلوا من منطقة سيدي العربي يتعاونون في أعمال الزرع والحصد والجني وهي بالتالي تويزة تتعلق بالزراعة فقط دون غيرها .

إن الاعتماد على عدد أفراد العائلة الواحدة خلال إنجاز مختلف الأعمال يجعل كبار السن يعلّمون أبنائهم منذ الصغر المشاركة في معاونة الكبار، ويكون هذا التعليم بداية بأبسط الأعمال كجلب الماء مثلا أثناء البناء أو خلال إقامة الأعراس أو تعليمهم التقاط الزيتون وجمع البطاطا...الخ ثم تدريجيا

يتم إقحامهم وتسليمهم أدوارا ووظائف أكثر تعقيدا بحسب سنهم وخبرتهم.ثم إن الممارسات اليومية للعادات والتقاليد تفرض على الفرد تقديم يد المساعدة، فلا يجوز لهذا الأخير أن يخرج عن نطاق الجماعة التي ينتمي إليها"كي تشوف كامل جماعتك تعاون، بسيف عليك حتى أنت تعاونيهم". فتصبح المشاركة في هذه الحالات بمثابة استجابة للضمير الجمعي وما يحمله من كل أخلاقي، فالضمير الفردي يذوب في سلوك الجماعة ويجعل الفرد يسلك نفس سلوك الجماعة إذ أن الضغط الذي تمارسه جملة العادات والتقاليد على الأفراد تجعل سلوكاتهم تنتظم في نسق خلقي متكامل كمجموعة من المعتقدات والمشاعر وهذا هو النموذج أو النمط الجماعي، وبالتالي فإن هذا الفرد الذي يعيش وسط الجماعة لا يجد نفسه أمام هذه العادات والتقاليد إلا ممتثلا لها، فهو لا يملك أن يخالف سلوك الجماعة التي ينتمي إليها بحكم ما يربطه بها من قرابة ومن مصالح أخرى.فيطبق ما تعمل به هذه الأخيرة، وينتهي عما تنهى عنه « فقواعد الكبت والقمع هي تعبير واضح عن وظيفة العادة والتقاليد» ([1]) .وكنتيجة طبيعية لهذا الضبط يسود هذه الجماعة نوع من التآزر والتماسك والتضامن.

إن استقبال يد العون من خارج سيدي العربي بالنسبة لساكنيها لا حرج فيه، لكن ندرة وقلة هذا النمط من التعاون بين السكان بالاستعانة من خارج المنطقة يعود لروابط القرابة التي تجمع بينهم فهذه الروابط جعلتهم يكتفون بالتضامن والتعاون الداخلي فقط واستغنوا عن يد العون الخارجية.

إن السكان الذين انتقلوا من منطقة سيدي العربي باتجاه مناطق أخرى من ولاية تلمسان بحثا عن الاستقرار والأمن واحتكاكهم بالمحيط الخارجي جعل البعض منهم يحضر من يساعده من خارج المنطقة، وهناك الكثير ممن يتقاضون أجورا بعد تقديم العون "كاين من هادوك الناس اللي يجيب حتى اللي يحصدوله بالدراهم".

[1] محمد قباري إسماعيل.مرجع سابق .ص 291.

فبعد أن كان التعاون قائما على أساس رد الجميل من خلال إحساس الفرد (المتوز له) أن عليه دينا لا بد من قضائه ومن واجبه الاستجابة لنداء أخيه ومساعدته بمجهوده وأدواته و أصبح الأمر حاليا قائما على إحضار المساعدة من خارج المنطقة مع ضرورة دفع الأجر لهؤولاء.

إن طبيعة النسق القرابي الذي يجمع بين سكان المنطقة يحدد طبيعة المساعدة على أن تكون بالمقابل "من الأول يكون عارف بلي في سبيل الله، كي يلغالك راكي عارفة بلي ما تدي والو،بصح لو كان نحتاج نكون ضامناتو". وهذا ما يؤكده السؤال الذي أعقب هذه الإجابة، فحينما سألناها عن طبيعة ردها لمن لم يساعدوها إذا احتاجت للعون ثم دعوها للمشاركة في تويزة أخرى كان جوابها باستجابتها لهذا النداء"على حساب الظروف بلاك نمشي إذا كانت لافامي la famille".

إذ ربطت هذه الأخيرة بين صاحب النداء وبين الاستجابة له وبالتالي فإن جميع الأنظمة الاجتماعية في هذه المنطقة مربوطة بقوة روابط القرابة التي تجمع بين سكانها« في حين نرى أن هذه الأخيرة ـ المؤسسات الاجتماعية- مسيرة من خلال روابط العشيرة وروابط القرابة المعقدة »([1]). فإن كان العمل المراد إنجازه لا يتطلب جهدا كبيرا فحتما سيكون حجم المعاونين صغيرا أيضا وقد أعطتنا هذه الحالة مثالا حول الحضورالكبير للتوازة في إحدى تويزات المنطقة لكنهم إكتفوا فقط بالمراقبة و تقديم النصائح«خطرات يجيبوا بزاف وما يعاونوش قاع، كما الرجال وقت الحصاد خاص يجيبوا على حساب السكة اللي يبغيو يزرعوها ولا يحصدوها »([2]).أي بعد تقاسم الأدوار والوظائف، يبقى بعض الأشخاص دون أن يتولوا أي دور بسبب قلة أدوات ووسائل العمل أحيانا وأحيانا أخرى بسبب وجود عدد كبير من العاملين، فلا يجد بعضهم دورا خاصا به يقوم به خلال التويزة فيكتفي فقط بمحاولة تسيير العملية والتوجيه.

---

[1] Malinowski Bronislow.Les argonautes du pacifique occidental.Gallimard,Paris,1989.p 85.

[2] السكة هي المساحة التي تستطيع حرثها دابتين خلال فترة الحرث، مع مراعاة طبيعة الأرض و الجهد الحيواني كما يراد بها قطعة الحديد المثبّتة في المحراث الخشبي و التي تحدث الثلم في الأرض.أنظر:
Revue affricaine.N° 79,office des publications universitaires. p 816.

تحليـــل الحالة الثالثـــــة:

لم يعطنا أي تعريف لظاهرة التويزة، واكتفى فقط بقوله"اليوم عندي وغدا عندك".

فالتويزة بالنسبة إليه عمل يتطلب مقابلا شأنها شأن الهبة التي تحدث عنها "مارسيل موس" في كتابه «essai sur le don» عام 1925 فهي بالنسبة إليه عملية تبادلية فالهبة تمر بالمراحل التالية: تقديم الشيء، ثم الاستقبال ثم الرد أو انتظار المقابل، فالتويزة بالنسبة لهذه الحالة هي تقديم العون وانتظار المقابل حينما يحين وقته عكس الحالة الثانية التي ترى أن التويزة دون مقابل.

ويعود هذا الاختلاف إلى طبيعة الرابط الاجتماعي الذي يربط بين الأفراد، فالحالة الثانية يجمع بينهم رابط النسب والقرابة المنبثق من طبيعة الوسط أي العيش وسط العائلة الممتدة « إن أهم الخصائص المميزة(للعمل بالزراعة) هي التي تمثل في الطابع العائلي لعملية العمل إلى درجة أنه أطلق على الزراعة اسم المشروع العائلي » ([1]).

أما فيما يخص هذه الحالة، فهو محاط بجيرانه، وتجمع بينهم روابط تختلف عن الروابط القرابية المتميزة بقوتها في العائلة الممتدة، فالتشابه في الأنشطة بين الأفراد، المتجاورين يجعل لهم نفس الاهتمامات ونفس المصالح مما يزيد من صلة الجوار ويقويها"فإن جيران المزارع يعملون في نفس مهنته...وما من شك في أن هذا التشابه أو ذاك التماثل في النشاط له أهميته الاجتماعية لأن يجعل جماعة الجوار لدى المزارعين متجانسة أو يمنحها التجانس في المصالح والاهتمامات".

شهدت هذه الممارسة عدة تغييرات تبدو واضحة إذا ما قورنت بالماضي ففي وقت غير بعيد كانت المزارع إذا حان وقت الحصاد أو الجني تعج بفئة الأطفال(سواء من أجل العمل أو اللعب) الذين يحضرون مع أوليائهم فيتحصل بذلك هذا الطفل على أهم المبادئ التي تمكنه من المحافظة على هذه

[1] سامية محمد جابر.مرجع سابق.ص 44.

الممارسة فيما بعد، أما حديثا فإن طريقة تنشئه الأطفال تختلف اختلافا كبيرا، فهو يفضل العمل الذي يتقاضى عليه أجر(كلّ شهر أي العمل عند الدولة)، بدلا من هذه الأعمال الشاقة والتي تتطلب جهدا ووقتا كبيرين «الوالدين مارا همش يعلموا ولادهم ، هاذ الصغار راهم يحبّوا غير المادّة».

إنّ تنظيم النساء لظاهرة التويزة لازال موجودا لحدّ الآن، فلا يزلن يتّصلن ببعضهن البعض بغرض التعاون لإقامة الأعراس، وغسل الزرع وتنقيته وغسل الصوف وتقنيته وغزله أيضا لكن ما شهد تغييرا هو خروجهن لمساعدة الرّجال جنبا إلى جنب إذ نلاحظ أن هذا لا يحدث حاليا إلاّ إذا وجد رابط عائلي متين «لكن عندما يحتاج العمل في المزرعة إلى مزيد من الأيدي العاملة في مواسم معينة أو في عمليات زراعية ما، تقوم الإناث بمعاونة الرّجال ..... ولذلك فالسمة الغالبة على العمل بالزراعة أنه عمل أسري» ([1]).

<u>تحليل الحالة الرابعة:</u>

عرف التويزة على أنها مصطلح مغاربي مشهور عند سكان المغرب العربي و هي تعني تعاون و تضامن أهل الحي أو القرية لانجاز شغل من الأشغال و إتمامه بسرعة و في أحسن الظروف فهي بالنسبة إليه تقديم الفرد للعون و اقترانه بشرطي الزمن و الظروف الحسنة فهي توفر على صاحبها عامل الزمن من جهة و من جهة أخرى لابد على المتوز له أن يوفر للمتوزين ظروف ملائمة لانجاز العمل المطلوب.

فالتويزة في هذه الحالة تشبه الزمال الذي يقصد به التعاون غير الملزم و التي أشارت إليها

[1] نفس المرجع . نفس الصفحة.

" Glavinis Tathy " سنة 1981 حينما حاولت دراسة إحدى القرى المنوفية و بينت أنه من بين هذه الخصائص التي يتميز بها أنه « نوع من التعاون المشروط حيث أن تقديم المساعدة يتطلب أن تحده هذه المساعدة » ([1]). فلابد أن تتوفر شروط ما لإقامة أي تويزة أو أي تعاون.

إن إدماج فئة الأطفال في التويزة أمر ضروري بالنسبة إليه، إلا أنه لابد من الوقوف على عدم اكتمال البنية الجسدية و الفكرية لهذه الفئة «عملهم يكون على حساب استطاعة كل واحد منهم » فهو يرى أنها تحفيز لهم لتقديم العون للآخرين، كما أن كل فرد يحرص على تعليم أبنائه التضامن مع الغير، فهو إنسان اجتماعي لان السلوك المتمثل في اهتمامه بتقديم العون يترجم سلوكا آخر و هو الرغبة في الاحتكاك بمختلف الفئات الاجتماعية الأخرى و بالتالي القدرة على الاندماج في أي وسط اجتماعي.

إن تنظيم أي تويزة لابد أن يقابله في الواقع عجز ملموس عند المتوز له، فهناك أعمال لا تحتاج اشتراك الآخرين لانجازها و في المقابل فهناك أعمال تحتاج إلى تدخل أفراد آخرين« فهناك أعمال تحتاج إلى إعانة و مواساة من طرف أشخاص آخرين » .فهي بمثابة تآزر مادي و معنوي من خلال ما تعكسه من سلوكات تبدو على الفرد سواء النفسية من سرور و اطمئنان و تآخي و تضامن أو مادّية تعود بالفائدة عليه أو على أفراد قبيلته.

إن دمج النساء أثناء القيام بعملية التويزة ضرورة لابد منها و أي مجهود تقدمه هذه الأخيرة يعود بالنفع على الجميع، فالمتوز له بحاجة إلى أي دعم كما و كيفا كما أن فئة النساء لها من المقومات ما يجعلها تقوم بأنشطة دون الرجال وهو ما أكدته لنا هذه الحالة من خلال قولها « فالمرأة معادلة قوية في تقديم العون وهناك أشياء لا يستطيع الرجال القيام بها فهي من خاصية النساء كالطهي مثلا ».

[1] د.عدلي أبو طاحون.مرجع سابق.ص 81.

إن التغير في ممارسة هذه الظاهرة أمر مرفوض عند هذه الحالة عكس جميع الحالات التي سبقتها، فقد أشار إلى أنه في الوقت الحالي لم يتغير الكثير في ممارستها، فقديما كان صاحب التويزة يطلب من أبناء حيه أو جيرانه و كل من يعرفهم أي يكونوا مستعدين لوقت من الأوقات لانجاز عمل ما مع الالتزام ببعض الشروط التي يقدمها المتوز له للمشاركين و هذا لتفادي أي عجز قد يحدث خلال العملية (كالنهوض باكرا و إحضار الأدوات الناقصة في الميدان و انتظار إشارة بدئ العمل ...إلى غيرها من الشروط التي تعتبر مسائل تتعلق بتنظيم سير هذه العملية) و هو نفس الشيء في الوقت الحالي.

لكن ما مسه التغير حقا هو عملية التنشئة الاجتماعية للأبناء فهي مختلفة بين الماضي والحاضر كما جاء في قوله و السبب في ذلك هو طغيان الجانب المادي على الجانب الأخلاقي الديني بنفسية الأفراد مما يؤدي إلى تلاشي مختلف علاقات القرابة سواء بالنسبة للأخ مع أخيه أو الجار مع جاره أو الصديق مع صديقه.كما أن هناك سببا آخر جعل الآباء يغيرون من طريقة تنشئة يتمثل في عصرنه الآلات التي تعوض الجهد البشري في التويزة و الذي كان يمثل أساسا لقيامها.

لقد جرت العادة أن تتولى النساء تنظيم التويزة التي تتعلق بهن، إلا أن هذا لا يقصي مشاركتهن في تلك التي تخص الرجال، فهي تشارك اذا تعلق الامر بنسج الزرابي و غسل الصوف و الزرع و تنقيتهما من الشوائب، و غسل الافرشة و مختلف حملات التنظيف و بذلك يكون لها دورا مزدوجا خلال العملية، فهي من جهة تمثل عنصرا مشاركا يعتمد كعنصر مكمّل، و من جهة أخرى تشارك من خلال تعاون مجموعة منهن على الطهي لإطعام المشاركين .

إن التنظيم خلال و أثناء عملية التويزة خاضع للمتوزله فهذا الأخير لابد له من السهر على توفير كل ما ينقص و كل ما يتعلق بأمور التنظيم (كعملية الإعلام بها) أما إن عجز عن ذلك فان جيرانه

أو أقاربه هم من ينوبون عنه في ذلك.فعند بدء العمل هناك من يضع صفوفا طويلة كالسلسلة حلقاتها مؤلفة من عناصر بشرية ربحا للوقت.

كما أنه من بين الأمور التنظيمية التي تتخلل هذه الممارسة نجد من التوازة من يحرص على ترديد أغاني معينة أو تكبيرات أو تهليلات لكن هذا يختلف من منطقة إلى أخرى، بل حتى في نفس القرية هناك من يفضل العمل في صمت و ذلك يعود لذهنيات هؤلاء الأشخاص.

و في المقابل هناك من يفضلون ترديد أغاني مرتبة و موظبة و موزونة و هناك من يتجه نحو التهليل و التكبير و كل ذلك تفاؤلا بالموسم و تبركا بالعمل الذي يقومون به لما تحمله يقع تأثيره على الأفراد، فهي تجعلهم ينسون العناء و المشقة و تدخل في أنفسهم الفرح و السرور فتسرعهم على المضي قدما من أجل تسريع وتيرة العمل .

لقد جرت العادة على أنه بعد إتمام العمل المطلوب يقوم صاحب التويزة بتنظيم حفل يستدعي فيه كل مشارك في العملية ليشكرهم، أما حاليا فقد شهدت هذه الطريقة في الشكر تغيرا إذ أصبح الشكر شفهيا لكنه قائم على مبدإ الهبة التي تعتبر عملية تبادلية في حالة الحاجة و هو نفس ما جاء في الحالة السابقة التي تفضل أن يكون الشكر من خلال المقابل وقت الحاجة " اليوم عندي و غدا عندك ".

إن المحافظة على العادات و التقاليد بالنسبة لهذه الحالة تتعدى الأشياء المجردة إلى تلك الملموسة كضرورة الحفاظ على أدوات العمل التقليدية، فهناك من يستعمل نفس الأدوات التي كانت تستعمل من قبل، أما من يحرص على الإسراع في إنهاء العمل دون تكلف أو تعب فيتجه إلى استعمال الآلات الحديثة.و نلاحظ أن هذا التغير في التوجه نحو التقنيات الحديثة يرتبط بالإمكانيات الاقتصادية التي يمتلكها كل فرد.

إن التعاون على المشقة لا يقتصر فقط على أبناء القرية الواحدة بل يتعدى إلى المناطق المجاورة كما

قالت هذه الحالة " فالله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه " و كما قال الرسول صلى الله عليه و سلم" أحب الأعمال إلى الله أن تدخل السرور في قلب مسلم ".فالمسلم قوي بإخوانه ضعيف بمفرده.

و تعتبر هذه الحالة أن من يرفض مساعدة الأفراد الذين لا ينتمون إلى نفس الأصول الجغرافية إنما هو صاحب حمية أو عصبية و يستشهد بقوله صلى الله عليه و سلم « مَنْ مَاتَ عَلَى حَمِيَّةٍ مَاتَ عَلَى جَاهِلِيَّةٍ » فالتعصب للعرق الواحد هو ما يحول بين المرء و بين مساعدته للأفراد من خارج انتمائه.

إن الدين الإسلامي قد تأسس على الوحدة و حب العمل الاجتماعي الذي يؤدي إلى التجانس في المجتمع، كما أوصى بالحرص على تقديم العون، قال الرسول عليه الصلاة و السلام « مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ » فهذه الحالة ترى أن تقديم العون واجب على كل مسلم و مسلمة و هذا الموقف يعمل على الحفاظ على قوة و متانة الرابط الاجتماعي والذي يتعزز بالسلوك الحسن كما قال النبي صلى الله عليه و سلم « الْتَمِسْ لأخِيكَ سَبْعِينَ عُذْرًا وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عُذرٌ فَأَوْجِدْ لَهُ عُذْرًا » و قول الله تعالى « وَ الكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعَافِينَ عَنِ الْنَّاسِ وَ اللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ » و وفقا لهذه الطريقة في التعامل يتم الحفاظ على مختلف العلاقات الاجتماعية بفضل تبادل الأدوار أثناء ممارسة التويزة و يتم الحفاظ على متانة الروابط الاجتماعية خصوصا رابط القرابة و الجيرة.

تحليل الحالة الخامسة:

عرفت هذه الحالة التويزة بأنها عملية تبادلية، فلابد من تقديم العون مع انتظار مقابل التويزة « اليوم خدمنا عندك و غدا عند آخر و كي نحتاج يجيو يعاونوني » و هي تتفق مع الحالة التي سبقتها (الحالة الرابعة) على أنها نوع من التعاون المشروط، بمعنى اقتران تقديم العون بشرط رد الفعل أو المقابل ويعتبر هذا الشرط واحدا من بين عدد من الشروط المميزة للجماعة فهي عبارة عن تنظيم

منسق لعلاقة الأفراد تحده مشاعر مختلفة: التمسك والتكامل ،الاشتراك في اختبار و انجاز الأهداف، اقتسام هوية اجتماعية، توحيد قنوات الاتصال و الوجدان التواجد ضمن لاشعور جماعي و تعزيز التبادل...الخ ([1]).

إن التعاون في انجاز الأعمال سببه التشابه و التجانس في مختلف النشاطات المهنية المميزة لمنطقة بني سنوس، فكلا من عاملي التجانس في المهن و العجز في انجاز العمل يشكلان عوامل رئيسية لقيام مثل هذا التعاون المشروط، بمعنى أن كل المتجاورين في هذه المنطقة لهم نفس الظروف فيساعد الواحد منهم الآخر عند حاجته طمعا في استقبال العون إذا احتاج بدوره.أما فيما يخص تلقين جيل الصغار و تعليمهم أن يسلكوا سلوك الكبار و المحافظة عليه أصبح نادرا. فممارسة التويزة في الوقت الحالي شهدت تغيرا فأصبحت تنحصر فقط في الفلاحة و الزراعة و أعمال البناء أو ما تعلق بالمساجد و إقامة الأعراس بنسبة أقل و هذا التغير يرجع للأسباب الاقتصادية، إذ يحاول كل من يمد يد العون في التويزة كسب المال.« إن التضامن الاجتماعية و التماسك في البناء الاجتماعي يتأتى من خلال انصهار رغبة الفرد وسط الجماعة التي يعيش فيها» ([2]).لكن في المقابل نلاحظ أن تنشئة الأطفال للحفاظ على هذه الممارسة بالنسبة لهذه الحالة لم تعد موجودة والسبب في ذلك جملة التغيرات التي يمر بها المجتمع في بني سنوس كاتجاه علاقات القرابة من العلاقات الأولية إلى العلاقات الثانوية وهذا يعني أن الفرد أصبح يتجه نحو التخصص في العمل من خلال استقلاليته بمفرده و الاستغناء عن دعم الجماعة و بالتالي الاتجاه نحو التضامن العضوي إذ أن نسبة 87.5 % ترى أن من يحرص على تنشئة أبنائهم على تقديم المساعدة هو شخص عادي بمعنى أن هذا السلوك موجود بصفة قبلية في المجتمع فتقديم العون ليس أمرا غريبا لكن الواقع يثبت العكس عند هذه الحالة

[1] مراد مرداسي.مرجع سابق. ص 137.
[2] محمد إسماعيل قباري.مرجع سابق.ص 292.

التي ترى أن تربية الأبناء على حب هذه الممارسة أصبح نادرا .

تحليل الحالة السادسة:

عرفت لنا هذه الحالة التويزة على أساس أنها تنحصر فقط في عملية التقرديش: «التويزة هي التقرديش » بمعنى أن ممارستها في الوقت الحالي قد انحصرت فقط في عملية تنقية الصوف من الشوائب و غسله، و قد لاحظنا أن هذه الحالة متذبذبة في الجواب ما بين أن التويزة لازالت مستمرة أو أنها قد تلاشت، فكان الجواب أحيانا أنها لم تبقى في وقتنا الحالي و أحيانا أنها مستمرة لكن بنسب أقل و أضافت أنه حتى الممارسات و العمليات الخاصة بغسل الصوف و تنقيته و غزله قد شهدت نقصا واضحا بسب استبدال الصوف بمكونات أو منتجات أخرى مصنوعة لا تتطلب عناء لغسلها أو تنقيتها، لكنها أضافت أيضا أنه من يبحث عن الجودة عليه شراء الصوف و أعطت مثلا انه حتى العائلات التي لها مستوى اقتصادي متوسط أو مقبول ترجع في كثير من الأحيان لشراء الصوف و يأتون لوادي بني زيداز و يغسلونه و يجففونه و يتعاونون على وضعه في أكياس ثم يأخذونه إلى مقر سكناهم أين يتعاونون على تنقيته.

إن استمرار التعاون في قرية بني زيداز لم يعد متواجدا باستثناء ذلك الذي يكون بين أفراد الأسرة الواحدة، بعدما شهدت هذه القرية نزوحا باتجاه مناطق أخرى من ولاية تلمسان بسبب الأوضاع الأمنية التي شهدتها المنطقة خلال فترة التسعينيات لكن هذه العائلة رفضت الرجوع رغم عودة عدد من العائلات لهذه القرية على الرغم من امتلاكهم لحقل كبير بها.

و لقد حاولت هذه الحالة الربط بين الوضع الحالي الذي تعيشه كل أسرة و بين ما كان سائدا خلال سنوات قليلة ماضية حيث قالت « نتلاموا قاع في بني زيداز، شيئ يغسل، شيء ينقش، شيء يقردش و الناس يحطبوا، كاين لي يعاونوا الجوامع و كانت المعاون على حساب المقدور، يلا ما

كملتيش هداك النهار عاودي ولي غدوا مع الضحك و اللعب و الوقت يفوت بلا ما تحسي بالتعب أما الكبارات كاين لي كانوا غير مجمعين و يعيبوا و اليوم كلشي مشا و اليدين ما بقاوش و البنات و الناس قاع مشاو ».

أما في الوقت الحالي و نظرا لعدة ظروف ساهمت في الاستقرار الفردي فإن كل فرد يحاول أن يبني ذاته مستقلا عن عائلته و يحاول قدر المستطاع أن يستقل بمفرده دون الاعتماد على الآخرين أو الجماعة التي يعيش فيها.

تمثل الجماعة في هذه المناطق المساحة الحيوية للفرد أين يحقق انسجامه مع الناس و مع القيم المميزة لها. و قد رد O.Klineherg هذا إلى عناصر تفسر التغيرات في السلوك و في المواقف بالنسبة للفرد في إطار علاقاته مع الآخرين و هذه العناصر هي التقليد و الإيحاء و التسهيل و الامتثال.

و إذا نظرنا إلى التقليد في هذه الحالة فبدل أن يكون غاية أو هدفا يخضع لسلطة الضمير الجمعي و لضغطه و قهره، أصبح هنا كوسيلة تهدف لتحقيق أهداف اجتماعية و نفسية حيث يقول Fredman أن التقليد لا يحصل إلا إذا كانت له معنى وظيفية (أحيانا لا شعورية) حيث يجد فيهم المقلد فائدة و لذة يقوم فعله على رغبة محددة ([1]).

تحليل الحالة السابعة:

تعبر التويزة عن تعاون الأفراد في أي أمر صعب انجازه بغرض الحصول على الإنتاج الوافر، فقد عرفها من خلال المنتوج أو العائد الذي تأتي به.لكنها تغيرت من خلال عاملي الأدوات المستعملة و سرعة الاستجابة للنداء في الوقت الحالي.ففي وقت غير بعيد كانت تعتمد على الإنسان في حد ذاته بكل ما يملكه من جهد مادي و معنوي، فلا يدخر أي مجهود إذ يساهم الأفراد بأدواتهم و مجهودهم

[1] موراد مرداسي.مرجع سابق. ص 147.

العضلي و المعنوي استجابة للنداء.أما حاليا فإن العنصر البشري يكاد يختفي في مثل هذه المعاونات و استبدل هذا الأخير و مجهوده بالوسائل المادية المتمثلة في مختلف الآلات كما قالت لنا هذه الحالة « بكري كنا نحرثوا على الحمار و نحصدوا بالمنجل و كانت السخانة و كنا نتعاونوا و اليوم الناس كامل بدلت هذه الصوالح بالماشينات ».

يلاحظ أن الأدوات المستعملة في العمل خلال التويزة مصنعة يدويا فهي أيضا تحتاج إلى جهد و عناء و صبر لإنتاجها بغية استخدامها و الوسائل المادية المقصودة هنا هي تلك التي كانت تستخدم قديما يستعين بها العامل في الإنتاج بقصد رفع إنتاجيته « أي كل ما يتعلق بالوسائل المادية التي تم إنتاجها بقصد إعادة استخدامها في عمليات إعادة الإنتاج » [1]و قد بدت معالم الحسرة و التحسر على هذه الحالة حينما تحدثت عن هذا التغيير.

إصرار هذه الحالة على ضرورة تعليم و تنشئة الصغار منذ السنوات الأولى على حب المعاونة بما يتناسب مع سنهم و جنسهم من خلال خطابه الذي قال فيه أن « المولود كي يزيد و يولي يعرف شويا يعلمولوا المعاونة و يعلموه كيفاش كنا نخدموا بكري ».أما عن طريقة الإعلان عن هذه العملية فأجابت أن تناقل الأفراد للحديث هو السبب المباشر في الإعلام بها فعلى صاحب التويزة أن يحدد المكان و الزمان و يعلم أحد المقربين إليه و هذا الأخير هو بمثابة الوسيط بين المتوز له و بين بقية المتطوعين أو المعاونين كما تصر هذه الحالة على ضرورة الحفاظ على التقاليد في الممارسة أمر لابد منه، فلا يجوز نسيان أحد المراحل التي كان يقوم بها السلف.

فبمجرد سماع النداء سواء في المقهى أو في المسجد يتجمع التوازة في المكان المحدد بأدواتهم و يشرعون في تقديم العون، فان أتموا العمل انصرفوا و إن لم يتموه عادوا لاماكن عملهم في اليوم الموالي، فإذا تطلب انجاز العمل عدة أيام يستمر التوازة على هذا الحال غاية إنهائه و إذا بعد المكان

[1] محمد بلقاسم حسن بهلول.القطاع التقليدي في الزراعة بالجزائر.المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.ص 43.

الذي تجرى فيه التويزة يضطر التوازة لأخذ أكلهم معهم إلى مكان عملهم و يبيتون خارج بيوتهم ليالي حتى إتمام العمل.

تحليل الحالة الثامنة:

التويزة بالنسبة لهذهالحالة هي اجتماع مجموعة من الناس سواء من العائلة أو خارجها بهدف المساعدة فهي بذلك اجتماع مؤقت "يجيو لعندك الناس غير باش يقضيو لك حاجة و لا يعاونوك و يمشيو" .

فممارستها تبدأ بعملية الإعلام عنها أولا أيا كان نوع هذه التويزة " كنا نلغاوا على الناس باش يعاونونا و نعلموهم بالوقت و البلاصة "، كما أن المسجد هو الذي يقوم بهذه العملية " الجامع البلاصة لي يتلاقاوا فيها الناس كل يوم و منه يعلموا التويزة ".

إن أهم ما يحرك هذه الممارسة الوفاء بالوعد الذي يقدمه الأفراد من أجل إثبات الحضور حينما يحين الوقت " كانت الناس توفي بالعاهد و يجيبوا معاهم صوالحهم ". فإتمام العمل يتطلب وجود العنصر البشري الذي يحضر معه ما توفر من وسائل يستخدمها لخدمته حتى يكون

العمل منتجا و هذا ما يؤكده عبد الله ساقور الذي يقول« تستند عملية الإنتاج على شروط إنسانية لا بديل عنها هي قوة العمل البشري و مدى قدراته على تسخير وسائل عمل لتحقيق قوى المجتمع المنتجة و التي هي في تطور مستمر » ([1]).

أما حاليا فقد تغير الكثير وأصبح غالبية الناس يعتمدون على أنفسهم من خلال توفر وسائل الإنتاج التي عوضت العنصر البشري « فالتطور في قوة عمل الإنسان يوازيه تطور في وسائل العمل ([2]).

ترى هذه الحالة أن تعليم الأجيال على الحفاظ على هذه الممارسة إنما يكون منذ الصغر، فتعليم فئة

[1] عبد الله ساقور.الاقتصاد السياسي.دار العلوم، عنابة، 2004.ص 24.
[2] نفس المرجع.ص 24.

الصغار على تقديم العون للآخرين و المشاركة في هذه الممارسات يحوز على رضا الله عز و جل عليه رضى الناس أيضا " لي يشد في تعلام ولاده المعاونة يرضى عليه ربي سبحانه و الناس ".

فمن يعلم أبنائه هذه المبادئ الفضيلة و المشاعر النفسية فهو بذلك يقرن تبادل المنفعة باتحاد المشاعر النفسية حتى يضمن استمرار الوحدة حتى بعد انتهاء هذه العملية (التويزة) بمعنى أن اتحاد المشاعر النفسية يؤدي الى اتحاد الجماعة و هو ما يؤكده لنا محمد زهرة إذ يقول أن« الجماعة الواحدة لا تكوّن وحدة إلا إذا اتحدت المشاعر و المنازع النفسية و لا تكون هذه المشاعر تحت سلطان تبادل المنافع فقط، بل لابد من تبادل المنافع مع اتحاد المشاعر النفسية » ([1]).

فاشتراك الناس في العمل الذي يتعسر على صاحبه، يرفع الغبن و يخفف عن هذا الأخير " كي يوصل الواحد للتويزة حتى يكون تعب من التخمام، و يد واحدة ما تصفق"و المعاونة تغلب السبع " فالأسرة هي التي تعلم و تنشئ أبناءها على مثل هذه الممارسات منذ الصغر« إذ تعد المدرسة الأولى و اللبنة الأساسية التي يكسب منها الفرد شخصيته فإما يكون شخصا مهما و ينفع مجتمعه أو يكون شخصا ضارا لنفسه و هذا كله بسبب ما زرعته فيه أسرته من قيم موجبة أو سالبة »([2]).

كما أنه لابد على الأسرة أن تعلم أبناءها أن يتعاونوا جنبا إلى جنب مع أخواتهم من النساء " النسا خواتات الرجال " و حنا عندنا دائما تشوفهم يخدموا مع الرجال ".

كما أنه لابد ألاّ ينحصر فقط في أفراد القبيلة الواحدة بل لابد أن يتعداها إلى القبائل المجاورة على اعتبار أن غالبية هذه القبائل ترتبط ببعضها من خلال علاقات قرابية تتمثل في روابط النسب، فمثلا فان أبناءه هذه الحالة الثلاثة قد تزوجوا من الفحص ، فان حدث و احتاج أحد هؤلاء الذين يقطنون بالفحص إلى مساعدة، وجب على هذه العائلة التي تسكن بزهرة تقديم العون و هذا ما يؤدي إلى

[1] محمد أبو زهرة.الوحدة الإسلامية.دار الفكر العربي، القاهرة، 1976.ص 231.
[2] فاطمة عاصم. الجمهورية.العدد 4195.ص 31.

الاستمرارية.

تحليل الحالة التاسعة:

تمت هذه المقابلة خلال موعدين، فالموعد الأول هو بمثابة تمهيد لأخذ موعد آخر و دامت تقريبا ساعة فكان الحديث جانبيا حتى يكون المبحوث أكثر راحة في الموعد الثاني.أما الموعد الثاني فقد تم في منزل هذه السيدة و دامت ثلاث ساعات.

التويزة بالنسبة لها هي تعاون الناس في مختلف الأعمال الشاقة كالحصاد أو الأعراس و البناء و قد ركزت خصوصا على عملية الحصاد و إقامة الأعراس.و كانت تتم عملية الحصاد في عدة أيام و أحيانا تصل إلى شهرين خصوصا حينما يتعلق الأمر بالبعد عن مكان الإقامة كالصليب و تافرنت و البهبار و الواد الأبيض و هي كلها مناطق بعيدة عن بني زيداز مما يضطر المتطوعين لأخذ مؤونتهم معهم، فكان الحصاد يتم وفق سلاسل، حيث يتوزع الأفراد في شكل سلسلة حتى يسهل تقسيم الحقل و حصده بشكل منتظم " يحصدوا وقت الصيف مع الغنا، يحصدوا ب (07) و لا (08) مع بعض كي السلسلة، و يعلقوا خبز الزرع في الشجرة، و كي يجي الوقت نتاع الماكلة يجبدوه.وأحيانا كان البدو يقدمون لهم الاكل" كاين صحاب العشش يعطيوهم في سبيل الله، كاين لي يدير الطعام و اللبن و لاتاي و القهوة ".أما فيما يخص الماء، فيأخذون معهم دلوا مملوءا بالماء البارد و يغلفونه من الخارج بكيس من الجبس و يبلل حتى يحافظ على برودة الماء.

أما إن كانت المنطقة قريبة نوعا ما من منطقة الإقامة فيضطر أفراد العائلة إلى التناوب على إيصال الأكل إلى التوازة أحيانا على ظهر الحمار.ثم انه إذا رأوا أي شخص يمر بهم يوجهون له نداءا من خلال ترديد أغاني كقولهم " سيدي حنيني، يا الشوّالة القمح العالية " بمعنى تعالى و ساعدنا لان العملية لا تزال مستمرة، و هو نداء غير مباشر حتى لا يشعر الأفراد بالضغط والإكراه في تقديم

العون.

كما تحدثت عن التويزة التي تخص الزواج، فكان الناس يتطوعون لجلب الحطب و بعد إحضاره يقوم أصحاب العرس بإطعامهم.ثم تقوم النساء بإخراج القمح إلى الواد (واد بني زيداز) و يغسلنه ثم يجففنه و بعدها يقمن بطحنه و بغربلته ثم يقام العرس، فيتعاون كل أفراد الأسرة كبيرهم و صغيرهم ماديا و معنويا كل حسب مقدرته.

لكن هذا التعاون لا ينتهي بمجرد انتهاء العرس، بل تستمر هذه التويزة لمدة أسبوع أخر بعد العرس و هي تقريبا تهدف لجمع المال للعروسين فيقام ما يعرف بالحجبة إذ انه بعد مرور أسبوع على العرس يزور العريس أصدقاءه و جيرانه و أقاربه و لكن بمرافقة العريس كما يكون نفس الشيء بالنسبة للعروس، لكن الاستقبال يكون من طرف صاحب أو مرافق العريس (الوزير)

و هذا بالنسبة للرجال فإذا تصادف دخول العريس و وجود أشخاص عنده حتى و إن كن من النساء يأخذ نعالهم و أحذيتهم فيتفق مع المرافق صاحبه على نصيب من المال أو غنم أو أي شيء له منفعة، و لابد لهذا الشخص الذي أخذت نعله من إحضار ما يتفق عليه، فان وافق يحصل على نعله و عليه الوفاء بالوعد و إذا لم يحضر ما وعد به أو لم يستطع عليه إحضار طبق يسمى " بالعوايد " و هو طبق مصنوع من الحلفاء به خليط من الحلوى ،اللبان، التين، الجوز، اللوز، و الفول السوداني...الخ، فان لم يحضرها هذا الأخير يعلّق بواسطة حبل موضوع في غرفة العروس لمدة و يجلد في رجليه و يضرب ضربا مبرحا.و هو أسلوب مباشر يهدف إلى الترهيب و التخويف غرضه مساعدة العريس لقضاء ما تبقى له من دين ناجم عن تكاليف العرس.

<u>تحليل الحالة العاشرة:</u>

قبل الشروع في إقامة السقف، نلاحظ أن هناك عدة مراحل تسبق هذه العملية و هي في أغلبها تتعلق

بالتنظيم لهذا اليوم، إذ يسبق هذا كله تحديد الموعد و المكان مع جمع عدد من التوازة من خلال عملية الإعلام التي قيل لنا أنها تمت من خلال تكليف أبناء هذه العائلة القيام بها.

فاجمعت النساء للتعاون في إعداد المأكل و المشرب و يتعلق الأمر بإعداد الكسكس و تجفيفه، كما يقوم الرجال في المقابل بالحرص على توفير مختلف أدوات العمل إذ أنه على المتوز له أن يطلب من التوازة إحضار أدواتهم لتفادي العجز و إن كان لديه فائض يدعم من لا أدوات له.

و خلال اليوم المحدد و في وقت مبكر بعد صلاة الفجر تشرع النساء في الحضور إلى المنزل و تبدأن في إعداد ما يعرف بالمبسّس و المسمن و القهوة و الشاي في أوعية كبيرة و بعد ساعة و ربع تقريبا، شرع الرجال في الحضور و نلاحظ تأخرهم عن الموعد المفترض للبدإ لمدة نصف ساعة تقريبا لضمان التحاق غالبية التوازة من جهة و من جهة أخرى لتأخر وصول الآلة التي تقوم بخلط الاسمنت. و بعد التحاق العدد الكافي شرع صاحب المنزل في تقسيم الأدوار على الأفراد الحاضرين، فبعضهم يتعاونون على إحضار الرمل، و بعضهم يقومون بحمل الحصى الصغير بالعربات و تفريغها في آلة خلط الاسمنت و البعض الأخر يحملون أكياس الاسمنت و يفتحونها و يفرغونها في الآلة كما يقوم آخرون بتحميل الماء و نلاحظ مشاركة فئة الأطفال في هذه العملية من خلال حمل أوعية صغيرة مملوءة بالماء أو حتى العمل على فتح حنفيات الماء لملأ الأوعية.أما الآخرون فيستريحون حتى يتعب بعض التوازة و يعملون بالتناوب.

حينما أشارت الساعة إلى 09:17 د بدأت مجموعة من الأطفال بإحضار القهوة و الشاي للتوازة و نلاحظ أنهم لم يتوقفواعن العمل، بل داوموا عليه، فوج يتناول وجبة فطور الصباح و فوج آخر استمر في العمل ثم تبادلوا العملية.و في هذه الأثناء كان النساء يقمن بإعداد الكسكس داخل البيت المجاور و هو البيت الأكثر قربا إذ يخص أحد الجيران.

و كان العمل مقسما بينهن فمنهن من عملت على إعداد الكسكس و الأخريات و منهن من أعدت الحساء وغالبية من يطبخن هن الأكبر سنا و إحداهن والدة المتوز له.بينما تعمل اثنتان منهن على إحضار كل ما يلزم من الغرف الأخرى من أواني أو احتياجات أخرى، أما ثلاثة نساء فكن يترددن بين المطبخ و الفناء في انتظار وصول الأواني لغسلها و عمل الأطفال على إدخالها للنساء و هو الحال نفسه حينما حان وقت الغذاء و استمرت إلى حدود الساعة 12:20 د.

بعد غسل التوازة لأيديهم و أوجههم و أدواتهم غيروا ملابسهم و تقدموا لوجبة الغذاء و بعدها توجه لهم المتوز له بالشكر.

و خلال اليوم الموالي عند الظهيرة، جمع المتوز له فئة من الأطفال (أبنائه و أبناء الجيران) تتراوح أعمارهم ما بين 12 و 15 سنة لإرجاع ما تبقى من الأدوات لأصحابها مع حرصه على ضرورة تقديم الشكر لأصحابها.

<u>تحليل الحالة الحادية عشر:</u>

لقد أقرنت تعريف التويزة بشروط عدم المقدرة و تطلبها لوقت وجهد كبيرين، كما أضافت شرطا إليه و ذكرته مرتين: ينبغي على المتوز له تفقد كل شروط السلامة حتى لا تتعاود الكرّة " خاص صاحب التويزة يفقد كل شيء " مع رفضها المستمر لان يقدم أيا من أبنائها المساعدة في التويزة خصوصا ما يتعلق بالبناء و هذا الرفض إنما هو ناتج عن الحادثة التي تعرض لها زوجها خلال تقديمه للمساعدة لانجاز سقف أحد المباني بالخميس مما تسبب في سقوط أحد الجدران عليه فأصابه بالشلل.

تحدثت هذه الحالة بحسرة عن التطور الحاصل الذي ساهم في تخفيف الضغط عن العنصر البشري و الذي يعتبر المحرك الأساسي في العملية الإنتاجية حيث كان هذا الأخير هو العامل ، هو الحمّال

و هو الناقل في أي عملية، أما حاليا فتوجد لكل وظيفة آلة خاصة " زمان كان بنادم هو الخدام، هو الحمال و دروك كلشي راه مطور " و هذه الحسرة يترجمها وضع الزوج الذي كان بإمكانه تجنب هذه الحادثة لو أن هذه التقنيات كانت متوفرة من قبل و نلاحظ أن غالبية إجاباتها تميزت بإثارة حادثة زوجها حيث كانت تعود لذكرها في كل مرة مع إلحاحها على ضرورة تفقد الأمور و مراعاة شروط السلامة قبل الشروع في أي عمل.

تحليل الحالة الثانية عشر:

إن التويزة بالنسبة لهذه الحالة تشمل ثلاثة مفاهيم هي المعاونة و المساعدة التي يقدمها الشخص للجماعة، ثم عرفتها من خلال العائد الذي ينتج عنها فهي ما يجنيه التوازة في آخر المساعدة سواء كان ماديا أو معنويا، ثم أكدت على ضرورة الترفيه عن النفس لان العمل الشاق المستمر ممل، فهي بذلك تعرفها اجتماعيا، اقتصاديا و نفسيا سواء بالنسبة للمتوز له أو بالنسبة للتوازة و تعتمد الممارسة على الإنسان في حد ذاته كما قالت هذه الحالة (يخص اليد و الرجل و اللسان)، أي أن الفرد هو الآلة التي تقوم عليها التويزة و أن اليد هي المسؤولة عن الأعمال اليدوية مهما كان نوع التويزة و أن الرجلين تنوبان عن الآلة الناقلة الموجودة حاليا و أن اللسان لا يكف عن الأوامر (تعالى أنقل رد، ساعد...الخ) .

كما أن الوسائل المستعملة حديثا تختلف عن تلك التي كانت تستعمل في القدم (اليد و الرجل ولاّت اليوم ربو و اللسان ما بقاش) بمعنى أن اليد و الرجل عوضتا بالآلة أما اللسان أصبح لا يستعمل إلا نادرا نظرا لكون أن الآلة لا تنتظر الأوامر و النواهي لتنفذ أمر ما أو تكف عنه.

إن هذه الحالة تشجع ما حدث من تغيرات اجتماعية على جميع الأصعدة من ناحية و من ناحية أخرى فهي تحبذ أن يصاحب هذه التغيرات الحرص على تنشئة الأبناء تنشئة اجتماعية سليمة تضمن

عيشهم متكافلين فلا يكون لها تأثيرات سلبية تغير من عادات و تقاليد المنطقة « إن جملة التغيرات الحاصلة لا يجب أن تؤثر في تعليم الأبناء العادات و التقاليد، فإتباع الأبناء طريق الآباء و الأجداد يجعل التغيير يأخذ اتجاها واحدا لا يحيد عنه...لأن التقاليد لا تشجع على الخروج عن نظام القبلية » ([1]) و بالتالي فهذه الحالة تحاول الجمع بين التقليد و المعاصرة من خلال إصرارها على الحفاظ على ما هو متوارث من الأجداد (الذاكرة المشتركة) من عادات و تقاليد كما أنها ترفض أن تحدث التغيرات تأثيرات سلبية على مستوى هذه االتقاليد.

تحليل الحالة الثالثة عشر:

خلال اليوم الأول، لوحظ أن غالبية المتواجدين في المنزل هم إما خالات للفتاة أو عماتها أو جيرانها، عمل هؤلاء على التعاون في مختلف الأعمال، لكن خالات الفتاة لوحظ حضورهن قبل الموعد المحدد بثلاثة أيام بغية تحضير ما ينقص حيث أكدت لنا أحدى الخالات أن العمل هذه المرة لم يكن متعبا كما في الماضي حيث لم يتم غسل الصوف و تنقيته و غزله فقد عمدت أم العروس على استبدال الصوف بمنتوج يعرف بـــ:(La wate) هذا الأخير الذي يشبه الصوف و يغني عن استعماله، أما استبداله كان للتخفيف من العناء و التعب لأنه حينما سألنا والدة العروس عن سبب هذا التغيير أجابت أن الصوف لا يعوض بأي منتوج آخر و سبب هذا الاستبدال هو رفض الخالات شراء الصوف و غسله حيث إنهن متزوجات في مناطق خارج الفحص اثنتان منهن في ولاية تلمسان و الأخرى في ولاية عين تيموشنت أما الخالة الرابعة التي تقطن في قرية أولاد موسى ببني سنوس ، ثم إن عمات العروس حينما علمن بهذا التغيير، قامت إحداهن بلوم الوالدة لعدم إعلامهن، و هذا بقصد تقديم العون لها.

[1] حسين خريف.المدخل إلى الاتصال و التكيف الاجتماعي.قسنطينة ،الجزائر،2005.ص 65.

ثم إن هؤلاء النسوة تعاون في عمليات الطبخ و الغسل يوم الأربعاء فقط لكن يوم الخميس تم إحضار سيدة تبلغ 45 سنة رفقة أختها التي تبلغ 38 سنة و ابنتها (18 سنة) و تكلفن بالطبخ و غسل الأواني وقد تكلفت خالتها بتسديد المصاريف مقابل هذه الخدمة كهدية لزفاف الفتاة.

تحليل الحالة الرابعة عشر:

التويزة بالنسبة لهذه الحالة و ممارستها في الوقت الحالي أمر مستحيل و السبب في ذلك يعود لجملة التغيرات التي أصابت الريف الجزائري فالتحولات على مستوى الأسرة و التي أثرت في بناء القوة التقليدية، كاتجاه حجم الأسرة نحو الصغر، استقلالية الفرد بعد الزواج التحرر من القيود واختفاء روابط القرابة و الشعور الجمعي الذي يلزم الفرد أن يسلك سلوكا معينا فهو من « المعايير الخارجة عن الفرد أو الحقيقة الاجتماعية التي تلزم أعضاء الجماعة أن يسلكوا أو يفكروا بطرق معينة » ([1])

إن ممارستها أو وجودها بالنسبة لهذه الحالة متعلق فقط بالأعراس أو أعمال البناء و إن وجدت فقد طرأت عليها الكثير من التغيرات، حيث أن الفرد استقل بذاته و لم يعد بحاجة إلى تلك المبادلات التي كان يقوم بها الأفراد فيما بينهم، فهذه المبادلات تلعب دورا هاما في الحفاظ على التويزة حيث يحس الفرد أنه ملزم برد المعروف لمن ساعده إذا احتاج. فحقله الذي تحصل علية من خلال اقتسام ما تركه والده مع إخوته و أخواته يدل على حجم التفكك الذي آلت إليه الروابط الاجتماعية في المجتمع الريفي، فأصبح كل فرد يبحث عن الحلول البسيطة التي تخدمه دون الرجوع لإطار الجماعة و نجد أن نفس السلوك يتكرر على مستوى أسرة هذه الحالة المتكونة من أربعة أبناء، إذ أن الابن المتوسط هو الذي اختار معاونة أبيه لخدمة الأرض بينما توجه الابن الأكبر لحفظ القرآن بوهران أما الأصغر

[1] معن خليل العمر.مرجع سابق. ص 168.

فقد اختار مصاحبة أخته التي تدرس بالجامعة و بالتالي نلاحظ إعراض الأبناء عن الأعمال التي تتطلب جهدا كبيرا باتجاه الأعمال السهلة البسيطة و هذا عامل آخر يساهم في التقليص من اعتماد التويزة .

تحليل الحالة الخامسة عشر:

إن ممارسة التويزة بالنسبة لهذه الحالة يتم بشكل تلقائي و هي مستمرة لحد الآن من خلال تعاون الإخوة في خدمة الأرض، لكن الممارسة في هذه المرة مختلفة حيث يتعاون أفراد العائلة (مجموع الإخوة الثلاثة و أبناؤهم الذكور فقط)، أما النساء فأحيانا يتناوبن على إحضار الأكل لهؤلاء و أحيانا أخرى يمتنعن و بالتالي فخدمة الأرض هي بمثابة المشروع العائلي الذي يتعاون فيه الأفراد المكونين من الإخوة الثلاثة و أبنائهم مع الحرص على المحافظة عليه من خلال المصلحة المشتركة التي تربط بينهم « فالمحافظة على الأرض و قوة العمل محصورة بين جماعة من الأقارب الأقربين الذين يجمع بينهم ولاء مشترك » ([1]).

إن الوسط الاجتماعي لهذه الحالة يساعد على قيام التويزة حيث يعمل الإخوة على التعاون في حرث و زرع و سقي ما يمتلكونه من مساحة زراعية مع الحرص على إقحام الأبناء في هذا العمل

و نلاحظ أن هؤلاء الإخوة لا يزالون ملتفّين ببعضهم البعض من خلال تجاورهم في السكن و على الرغم من استقلالية كل فرد منها بمنزله إلا أنهم لم يغيروا منطقة سكنهم و بالتالي فهم يرفضون الابتعادعن بعضهم لان في ذلك تفرقة للمصالح بحسب هذه الحالة.فمجموع هذه الظروف من تجاور في السكن و وحدة مكان العمل (الحقل) و التعاون على خدمته تولد بطريقة تلقائية تقديم العون فطبيعة الكسب بالنسبة لهذه الحالة تفرض على الأفراد اللجوء لهذه الممارسة.

[1] محمد عبده محجوب.مرجع سابق.ص 287.

و في المقابل فان التويزة لازالت مستمرة عند الطبقة البسيطة التي لا تتمكن من سد حاجاتها فبالنسبة لهذه الحالة دعوة أحد التوازة له لابد أن تصحب دائما بسرعة الاستجابة للنداء و حجته في ذلك قول الله تعالى « وَ تَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَ التَّقْوَى وَ لاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَ العُدْوَان » و قول الرسول صلى الله عليه و سلم « إِذَا دَعاَكَ أَخاَكَ فَاسْتَجِبْ للنِّدَاءِ ».

الحالة الأولى:

من خلال هذه الحالة يتبين أن تقديم أي شيء بالمجّان وتعليم الأبناء المشاركة في التويزة يعود لجو المحبة والثقة، وهما أمران لابدّ من أن يقدمهما الوالدين لأبنائهما « فالطفل يتأثر بشكل كبير جدا بالاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية وبطبيعة الجو السائد في الأسرة » ([1]).

فلابدّ من توفر عنصري المحبة والثقة بين الأفراد حتى تزداد قوة الروابط الاجتماعية بينهم سواء روابط القرابة أو روابط الجوار، مما يجعل الفرد يبحث عن كل ما يصله بالآخرين فإذا جاء وقت التويزة إلتفّ الأفراد حولها ليؤكدوا تضامنهم وتماسكهم ببعضهم البعض وهذا ما يؤكده رالف لنتون « حينما يعرف المجتمع بالعشيرة نجد وسائل الإبقاء على صلة القرابة ماثلة أمام الفرد والتشديد على أهميتها » ([2]) و بالتالي فان هذه الظاهرة تؤدي إلى إعادة إنتاج الروابط الاجتماعية على اختلافها، فالتويزة تعمل على بعث روح التعاون و التضامن بين مختلف الفئات الاجتماعية

(كبارا و صغارا، ذكورا و إناثا) مما يؤدي إلى تحريك مشاعر الأخوة و المحبة بين هذه الفئات ونشأة مثل هذه الروابط بين الأفراد تؤدي إلى سهولة التعاون فيما بينهم، فتنشئتهم وفقا لهذه الروابط والمبادئ يؤدي إلى ضمان التويزة ويحفظ استمرارها أما تعليم الأبناء الإعلام بوقت ومكان إقامة التويزة إنما هي تدريب لمد يد العون في المستقبل للآخرين، فهذا الطفل الذي يقوم بهذا العمل حتما سَيَسْلُكُ سلوك والديه في المستقبل.

إن انتقال العادات والتقاليد من جيل لآخر هو أمر وارد لكن استمرارها على حالتها التي ظهرت بها أول مرة أمر مشكوك فيه، فممارستها مقترن بعامل الزمن والكثير منها تغير بمرور الوقت، إلا أنها

[1] مصباح عامر.التنشئة الاجتماعية و السلوك الانحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2003.ص 133.
[2] رالف لنتون.دراسة الإنسان.ت.عبد الملك الناشف، المكتبة الجامعية صيدا، بيروت، 1964. ص 265.

لا زالت تحافظ على خاصية استمراريتها وتواصلها ودوامها، فللعادات التقليدية دور يشبه الوراثة في الحياة الفسيولوجية للفرد، فهي تنقل جزءا من الماضي للحاضر أي أنها على استمرار وتواصل بين الأجيال المتعاقبة فهي كما يقول " كلا كهل" "وكيلي": « أنها وسائل إرشاد توجه سلوك الناس في المجتمع » ([1]).

فالتحولات التي مسّت مجتمع بني سنوس على جميع الأصعدة ساهمت إلى حدّ بعيد في الحدّ من هذه الظاهرة، إلا أن هذا لا ينفي استمرارها فجملة التحولات القرابية والمادية التقنية التي مسّت وسائل وأدوات الإنتاج عملت على استبدال هذه الممارسة التقليدية (التويزة) بممارسات حديثة نوعا ما تعتمد إلى حدّ بعيد على الجهد الميكانيكي الآلي بدلا من الجهد البشري والحيواني، فمثلا نجد أن أدوات الحرث شهدت تطورا كبيرا في العديد من مناطق الخميس (بني سنوس) وهذا لا ينفي زوالها كليا، بل لا يزال عدد مهم من الساكنة يعتمدون على الأدوات التقليدية كالمحراث والقادوم " « لقد مثل المحراث الخشبي ذو السكّة الحديدية والذي تجرّه الدواب الأداة الإنتاجية الأساسية في فلاحة الأرض » ([2]).

ظلت هذه الحالة (الحالة الأولى) خلال مجمل المقابلة تستعمل جملة " بكري كانوا جدودنا وجداتنا " أكثر من تسعة (09) مرات وهذا يدل على قوة التمسك بما جاء به السلف وعلى تنشئة الأفراد وفق العادات والتقاليد التي كانت موجودة خلال ذلك الوقت، فهي تحاول الرجوع دائما إلى الذاكرة المشتركة التي تتضمن ما هو تقليدي، إلا أن هذه الجملة كانت مصحوبة دائما بجملة أخرى " بْصَّحْ دَرْوَكْ ماشي كيما بْكْرِي" بمعنى أن هذه الأجيال الحالية ظلت تحافظ على هذه العادات والتقاليد لكن وفق ما يتطلبه الوقت الحالي، أي ضرورة إدخال تغييرات على تلك العادات التي وُرِثَتْ من قبل

[1] فوزية دياب.القيم و العادات الاجتماعية.دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1980.ص 224.
[2] Paul pascon.Etude rurale.Samer, Rabat, 1980. p121

وتكييفها مع الوقت الحالي و بالتالي فانا عملت على إكساب ظاهرة التويزة خاصية المزاوجة بين التقليد و المعاصرة. كما أن هذا لا يفي إهمالها أو تركها، فثقافة الفرد هي مجمل هذه العادات الموروثة التي تحدد طريقة كلامه، لباسه وأكله، إلى غير ذلك« فأفراد الجماعة يمثلون لكثير من القيم و المبادئ والعادات والتقاليد والأعراف... وعلى الجملة يسلكون بطرق متشابهة » ([1]).

إن الطبيعة البيئية والجغرافية لدائرة بني سنوس المتميزة بوجود الأراضي الزراعية الخصبة والأودية والعيون واستغلال سكانها لهذه الظروف جعلت هذا المجتمع يكيّف العوامل البشرية و الحيوانية لصالحه، فلا يجوز إهمال العنصر البشري الذي حافظ على استمرار التويزة من خلال الإكثار من الإنجاب بغرض التعاون مستقبلا في جميع المجالات، وهذا التعاون قد نصّت عليه الشريعة الإسلامية أيضا " ربّي يحب اللي يعاون الناس " سواء من خلال القرآن الكريم أو من خلال السنة النبوية الشريفة أو من خلال المبادئ التي جاء بها هذا الدين و هو ما يؤكده محمد أبو زهرة الذي يقول ان« التعاطف الأخوي والرحمة الواصلة وإحساس كل إنسان بأنه ملزم بسدّ حاجة أخيه بمقتضى قدرته وحاجة أخيه »([2]).

<u>الحالـــة الثانيـــــة:</u>

إن العيش وسط العائلة الممتدة يضمن انتقال الخصائص الأساسية عبر الأجيال والمحافظة عليها ضرورة لابد منها، ففي هذا النوع من العائلات ينشأ الفرد منذ الصغر على سلوك ما يسلكه الكبار مع مراعاة شروط صغر السن، ونقص الجهد العضلي، وضرورة استشارة من هم أكبر منهم سنا في أي فعل، فعند مقابلتنا لهذه الحالة نجدها تعود دائما خلال كل إجابة للعائلة " التويزة فيها يتعاونوا قاع العايلة " ثم أيضا" على حساب الظروف بلاك نمشي لها إذا كانت لافا مي la famille" ...الخ

[1] عبد الرحمان محمد عيسوي.دراسات في علم النفس الاجتماعي.دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1983. ص 86.
[2] محمد أبو زهرة.التكافل الاجتماعي في الإسلام .ط.جديدة دار الفكر العربي، 1991. ص 84.

وهذه الإجابات المتعلقة دائما بمرادف العائلة إن دلت على شيء فإنما تدل على طبيعة التنشئة الاجتماعية لهذه الحالة فلا بد من الرجوع إلى الإطار العائلي لإصدار الأحكام ولاتخاذ أي سلوك تسلكه، فلايجوز لها أن تخالف ما تتعارف عليه العائلة، إذ أن عملية التنشئة الاجتماعية في مثل هذه المناطق تتميز بالبساطة و الوضوح و عدم التعقيد و تعتمد على التقليد و التلقين و هذا ما يفسر عودة و رجوع هذه الحالة في غالبية قراراتها لاستشارة العائلة.

ثم إن تنشئة الفرد في هذا الإطار العائلي الممتد يجعله يمتثل لأوامر الجماعة وينتهي عن نواهيها فيمارس ممارسات الجماعة التي ينتمي إليها فيمتثل لأوامرها وينتهي عن نواهيها ويأخذ بعاداتها وتقاليدها ومن جملة هذه العادات والتقاليد إقامة الأعراس مثلا.

إن انتقال بعض الأفراد من منطقة سيدي العربي باتجاه الخميس(بني سنوس) أو مدينة تلمسان جعلهم يتخلون عن التويزة وبالتالي فإن طبيعة المنطقة تلعب دورا هاما وأساسيا في ممارسة هذه الظاهرة « إن التصنيع الذي ارتبط بالمدينة عادة جذب قطاعات كبيرة من القوى العاملة القروية...وقد أدت هذه الحركات التي مارستها قوى العمل إلى بناء جسور اتصالية بين المدينة والقرية، وبالتالي تأثرت الخصائص الاجتماعية للقرية » ([1]) و في المقابل فإن القلة التي لا تزال تسكن المنطقة لحد الآن لا تزال تتعاون في مختلف أعمالها.

إن احتكاك السكان الذين غيروا منطقة سكناهم بأفراد آخرين جعلت البعض منهم من يغيرون ممارسة التويزة داخل الإطار العائلي الممتد (أي الاعتماد على اليد العاملة التي تنتمي لنفس العائلة الواحدة) و استبدلت بإحضار معاونين من خارج سيدي العربي مع مراعاة تقديم الأجر لهؤلاء العمال بعد الانتهاء، فالتفاعل الاجتماعي بين السكان الذين نزحوا من سيدي العربي و بين السكان الآخرين من الخارج (خارج القرية) أدى إلى إحداث تحولات اجتماعية على المستوى العلائقي

[1] محمود عودة.دراسات في علم الاجتماع الريفي.دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992.ص 90.

الاجتماعي و يتجسد هذا في إحضار معاونين من خارج القرية و بالتالي الاستغناء عن المساعدة التي كانت تقدمها الأسرة الممتدة حيث نتج عن ذلك الاستقلالية عن هذا النمط وهذا ما تؤكده نسبة 85 % التي ترى ضرورة إحضار معاونين و مساعدين ينتمون لخارج العائلة حسب محمد سبيلا و بالتالي« فالتحولات الاجتماعية و الثقافية تتمثل في الانتقال في أولوية علاقات القرابة الدموية و سيادة القيم المتوارثة إلى دينامية اجتماعية جديدة تسودها قيم و معايير الاستقلال و الحرية النسبية للفرد في اختياراته و بالتالي مسؤوليته الفردية و وعيه الذاتي » ([1]).

الحالة الثالثة:

تنظيم أيّ تويزة بالنسبة لهذه الحالة هو قائم على ردّ الجميل أو المقابل واستمرارها أيضا خاضع لنفس هذا المبدأ، فهي عملية تبادلية تمرّ بنفس المراحل التي تمر بها الهبة التي تحدث عنها"مارسيل موس" سنة 1925«مقالة حول الهبة». فالتويزة تمر أولا بتقديم الشيء وهذه المرحلة تمس ما تمر به التويزة من عمليات التنظيم والإعلام بمكانها وزمانها، ثم تأتي المرحلة الثانية وهي مرحلة الاستقبال وهى تتمثل أيضا في استقبال مختلف وسائل العون المادية والبشرية بمعنى آخر أنها مرحلة البدء الفعلي للظاهرة أو الدخول في ممارستها إلى غاية الانتهاء منها، ثم بعد ذلك تأتي المرحلة الأخيرة ألا وهي انتظار المقابل ويتمثل المقابل في انتظار رد الجميل لكن حينما يحين وقته. بمعنى أن مرحلتي تقديم الشيء والاستقبال تحدثان خلال ممارسة التويزة، لكن مرحلة الرد أوالمقابل تبقى مرتبطة حتى إعلان أحد المشاركين حاجته للعون. فإذا حصل هذا لابد من تلبية النداء، وربما قد تكون هذه المرحلة من عملية التويزة هي الأساس خلال هذه الممارسة كما جاء في قول هذه الحالة: «اليوم عليا وغدا عليك».

[1] محمد سبيلا.أزمة القيم و دور الأسرة في تطور المجتمع.أكاديمية المملكة المغربية، 2001.ص 368.

لقد شهدت عملية التنشئة الاجتماعية عدة تغيرات وذلك تماشيا مع متطلبات الوقت الراهن فخلال وقت غير بعيد، مثلت الجماعة مصدرا للحياة الاجتماعية، فلا يتخذ أي قرار إلا في إطار العودة للجماعة، وعند التقاء الأفراد في مناسبات معينة يقوى عندهم هذا الإحساس الجمعي ويتكرر هذا الإحساس مع تكرار المناسبات حتى يصبح نوعا من الشعائر، خاضعا لقيم المجتمع.

أما حاليا، شهدت هذه الجماعة وهذا الشعور بالوحدة نوعا من التفكك وإن لم نقل تفككا كليا، وأصبح الفرد هو المحور الأساسي في الحياة الاجتماعية بدل الجماعة في غالب الأحيان إلا نادرا، ولما كان الفرد هو وحدة النسق الاجتماعي، والبناء الاجتماعي هو نسق من الجماعة يؤثر على الأدوار التي يلعبها الأفراد داخلها مما يؤثر على تماسكها ووحدتها وتجانسها.

فتنشئة الأفراد على حب إشراك الجماعة في مختلف الأنشطة لاجتماعية والالتزام بقيمها الأخلاقية هي التي شهدت تغيرات في الوقت الحالي بسبب « حدوث عدة تغيرات أساسية في بناء القوة التقليدية وإحلال العلاقات الثانوية محل العلاقات الأولية، والتحرر من القيود واختفاء روابط القرابة والإقبال على التعليم وزيادة فرص الحراك وازدهار ونمو الأسرة النووية، اتجاه حجم الأسرة نحو الصغر» ([1]).

الحالة الرابعة:

تعريف هذه الحالة للتويزة على أنها نوع من التعاون المشروط فلابد من توفر شروط لإقامتها و هو نفس ما جاء في الحالة السابقة على أنها تشبه الهبة في مراحلها الثلاثة من تقديم الشيء ثم تأتي بعدها مرحلة الاستقبال ثم المرحلة الثالثة و هي المهمة: مرحلة المقابل، فتعريفها على أنها نوع من التعاون المشروط يتماثل و يتشابه مع مرحلة المقابل أو رد الجميل و هذه المرحلة هي الأساس في الهبة كما أنها الأساس في استمرار التويزة.

[1] عدلي أبو طاحون.مرجع سابق ، ص 75.

ثم إن هذا الاستمرار خاضع لطبيعة التنشئة الاجتماعية التي يلقنها جيل الكبار لجيل الصغار من جهة أخرى، لكن إدماج فئة الأطفال في التويزة لابد أن يخضع لشروط عدم اكتمال البنية الفكرية و الجسدية لهم مع الحرص على تقديم مختلف التوجيهات و النصائح لتقييم مختلف التعثرات.

إن التغير الاجتماعي في ممارسة هذه الظاهرة أمر مرفوض بالنسبة لهذه الحالة و هو عكس الحالات السابقة، إلا أنه قد حصر التغير فقط في عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد و السبب في ذلك طغيان الجانب المادي على الجانب الأخلاقي مما يؤدي إلى تلاشي الكثير من الروابط الاجتماعية و التي تحفظ مختلف عمليات التبادل أثناء القيام بالتويزة كما تحدث عن الوسائل المستخدمة و عصرنتها لكنه لم يعطها أهمية بالغة.

يمثل الدين الإسلامي لهذه الحالة مصدرا أساسيا للحفاظ على عمليات التماسك و الوحدة و التضامن الاجتماعي داخل المجتمع الواحد، و قد قدم جملة من الأحاديث النبوية الشريفة و الآيات القرآنية الكريمة ليدعم مختلف أقواله و النسبة إليه فان هذا العامل هو المسئول عن توجيه مختلف العلاقات و المعاملات بين الناس و هو الذي يحفظ التآزر بينهم مما يسهل الظروف أمام قيام التويزة و يتضح أن الدين الإسلامي يقدس العمل من خلال تعريفه لعوامل الإنتاج و حصرها في ما يلي: العمل، رأس المال و الأرض و هو يمجد عنصر العمل و يجعله في أعلى سلم عوامل الإنتاج بعكس النظريات الغربية التي تقول بوجود عنصر رأس المال الذي يتضمن الأرض و التنظيم الذي يتضمن عنصر العمل و تجعل العوامل الثلاثة على مستوى واحد « تقسم النظريات الغربية عوامل الإنتاج إلى عمل و رأس مال و تجعل الأرض ضمن عنصر رأس المال، و التنظيم ضمن عنصر العمل و تجعلهما على درجة واحدة » ([1]) إذ يرى الدين الإسلامي أن السمو بالمجتمع و بلوغ أقصى طاقات الإنتاج فيه تتم وفق دفع جميع عوامل الإنتاج لخدمة المجتمع و إعطاء عنصر العمل أهمية كبرى .

[1] أحمد زايد و آخرون .مرجع سابق.ص 165.

لكن في المقابل فان كل من العاملين المتبقيين من عادات و تقاليد و مختلف الممارسات الاقتصادية و الجماعية تبقى مساهمتهما في الحفاظ على ظاهرة التويزة ضئيلة أمام عاملي التنشئة الاجتماعية و الدين بالنسبة لهذه الحالة.

الحالة الخامسة:

اقتران تقديم العون بشرط المقابل يعني الدخول في إطار علاقات التبادل و هذه العملية (التبادل) تحكمها روابط القرابة و الجوار حيث يؤكد هذا تصنيف أنماط التبادل عندهم ماهلنز 1965 من خلال وجود روابط بين درجة المبادلة المطلوبة و نوعية الروابط الاجتماعية الموجودة بين الشركاء (روابط القرابة أو الجوار بين الشركاء) فيكون التعاضد الأشد بين المجموعات أو الأشخاص المشمولين بالتبادل ([1]) إذ ينتج عن هذا النظام القائم بين المتجاورين أو بين أولئك الذين تجمع بينهم الرواسب في مجتمع ريفي يدل على تميزه بشعور جمعي، هذا الأخير الذي يعني بالنسبة إيميل دوركايم « مجموعة المعايير الخارجة عن الفرد، أو الحقيقة الاجتماعية التي تلزم أعضاء الجماعة أن يسلكوا أو يفكروا بطرق معينة » ([2]).

ثم إن هذا الشعور يتناقص كلما توجهنا نحو المجتمعات التي تتميز بتقسيم العمل و تبعا لهذه الحالة التي ترى أن تنشئة الأطفال على التضامن لم تعد موجودة في الوقت الحالي بسبب اتجاه العلاقات القرابية من الأولية إلى الثانوية فتوجه الفرد نحو التخصص و الاستقلالية مما يؤدي إلى استغنائه عن الجماعة أي الاتجاه نحو التضامن العضوي إذ كلما زاد تقسيم العمل زاد تطور الفرد تبعا لذلك و هو ما يراه معين خليل العمر إذ يقول« و بالوقت نفسه ينهار التطور الجمعي و تقام المجتمعات فيه

[1] بيار بونت و آخرون.معجم الاثنولوجيا و الانثروبولوجيا.ت.مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع، لبنان، 2006.ص 347.
[2] معن خليل العمر.مرجع سابق. ص 168.

على التضامن العضوي » ([1]).

الحالة السادسة:

إن حصر هذه الحالة لتعريف التويزة فقط في المصطلح الشعبي "التقرديش" دليل على نقص التويزة في منطقة بني زيداز و هذا راجع لعدة عوامل أبرزها عامل الهجرة الذي كان سببه الأول صعوبة الظروف الأمنية حيث اضطر الكثير منهم لبيع ممتلكاتهم، بل حتى تركها دون مقابل و الهجرة إلى مناطق أخرى من الولاية (تلمسان) أكثر أمنا، إلا أن هذه المنطقة في الآونة الأخيرة شهدت رجوع بعض الساكنة إليها لكن هذا بنسبة أقل بكثيرمما كانو عليه قبل تدهور الأوضاع الأمنية أما الذين لم يرجعوا لحد الآن إذا احتاجوا لغسل الصوف فإنهم يشترونه و يجلبونه إلى وادي بني زيداز لغسله و بالتعاون مع الساكنة القليلة المتبقية (لمن أراد تقديم المساعدة مع الأخذ بعين الاعتبار العلاقات و طبيعة الروابط الاجتماعية التي كانت سائدة من قبل) و بعد الانتهاء ينقل الصوف إلى مقر الإقامة .

إن التغير و حجمه بالنسبة لهذه الحالة لم يتم على مستوى ممارسة التويزة فقط، بل انتقل ليشمل حتى ممارسيها بسبب هجرة معظمهم إلى مناطق أخرى و بالتالي فالعامل المؤثر في التويزة هذه المرة هو العامل البشري، كما أن رجوع هذه القلة من السكان إلى بني زيداز لم يساهم في الرجوع إلى ممارستها إلا في الحالات الاضطرارية، إذ أن رجوع بعض الأفراد لغسل الصوف لوادي بني زيداز يجعل الأفراد الساكنين مجبرين و ملزمين لتقديم المساعدة بحكم طبيعة العلاقات التي جمعتهم في وقت سابق حتى و لو تعلق الأمر بمحاولة إعداد المأكل و المشرب لهؤلاء الأفراد أثناء عملهم.

أما البقية فمنهم من يأتي فقط لتفقد أرضه و هناك من أجّرها للسكان الذين رجعوا مع إعطائه مقابلا بعد خدمته الأرض ثم يقتسم المنتوج و هناك أيضا من ترك حقله و ذهب دون رجعة، و منه نستنتج أن التحدث عن التويزة كممارسة في منطقة بني زيداز في الوقت الحالي أمر ضعيف و ضئيل

[1] معن خليل العمر. المرجع نفسه،نفس الصفحة.

و سببه النزوح الريفي في سنوات التسعينات بحثا عن الاستقرار و الأمن.

الحالة السابعة:

رفض هذه الحالة إجراء المقابلة يعود لخوفه من انقطاع الروابط العائلية مجددا بسبب مناوشات كانت قد حدثت حول تقسيم التركة (الحقل) في وقت سابق، لذلك حدد إجراء في مكان آخر أمام المسجد الذي تنطلق منه الخطوة الأولى للتويزة ألا و هي عملية الإعلام بها.

إصراره على الحديث عن حجم التغير الذي أصاب التويزة و تحسره عليها دليل على الرغبة للرجوع إلى الحالة السابقة و هذا ما يفسر من خلال سعيه للمحافظة على استمرار التويزة و على دوام العلاقات التي تربطه بعائلته (تغيير للموضع المتفق عليه من الحقل إلى المسجد).

و هذا التغيير يترجم سيرورة العلاقات الاجتماعية و غيرها من علاقات تعاونية (نظرا للاشتراك في عدة ميزات و التشابه في عدة ميادين بين الأفراد) إلى علاقات تنافسية بسبب الانتقال من العائلة الموسعة إلى العائلة النووية التي يبحث فيها كل فرد عن تكوينه و استقلاله الذاتي « فكل شخص يرغب في استقلالية مالية و منزلية و يرغب في منافسة والده وأخيه و انتقلت العلاقة من علاقة تعاونية إلى علاقة تنافسية » ([1]).

و بالنسبة لهذه الحالة فان تعوّد الأطفال المشاركة في التويزة يبدأ منذ الصغر من خلال رواية أساطير أو حكايات تخص التويزة و تخص التعاون على المشاق و هذا ما يحفظ الاستمرار بين الأجيال في المحافظة على هذه الممارسة « و عادة ما يحرص المجتمع على ترديد هذه الأساطير في إطار ثابت لا يتغير و تعد معرفة هذا التراث و حفظه في ذاكرة الأفراد هو الأساس الهام لتحقيق التماسك الآلي و الترابط الذي يقوم بدوره الأساسي لحفظ البناء القبلي » ([2]).

[1] عبد العزيز رأس المال.كيف يتحرك المجتمع.نتاج ذلك على العلاقات الاجتماعية.ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 1999. ص 167.
[2] محمد عبده محجوب و آخرون.مرجع سابق. ص 281.

الحالة الثامنة:

قامت هذه الحالة بحصر تعريف التويزة على أساس أنها اجتماع مؤقت للناس لتحقيق هدف مشترك لرفع العجز عن صاحبها تبدأ بعملية الإعلام بها و استمرارها في المجتمع قائم على الوفاء بالوعد من خلال إثبات الحضور في حالة الحاجة، و في هذه الحالة يكون اجتماع الناس على أساس المساعدة المتبادلة إذ وصف "شوارتز" "Schzartz" جماعة المساعدة بأنها « اتحاد فيما بين الأفراد الذين يحتاجون إلى بعضهم البعض و ذلك ليس لتحقيق مساعدة واحدة، بل العديد من المساعدات بما يحقق أهداف العملية الجماعية من خلال الاحتياج المشترك لكل منهم للآخر»[1]

ثم ربطها لاستمرار هذه الممارسة بدرجة الوفاء بالعهد أي إثبات الحضور بالنسبة للعنصر البشري الذي يعتبر في مثل هذه الممارسات هو المحرك الأساسي، فهو العنصر المسير حيث يحضر كل فرد أدواته الخاصة و إن كان لديه فائض في هذه الأدوات يحضرها معه لتزويد من لا أدوات له، و هكذا يساهم كل فرد بقدر المستطاع، فهذا الأخير ظل يدعم جهده العضلي بالجهد الحيواني، "حيث نجد نسبة استخدام القوة الحيوانية المتمثلة في الثيران، الأحصنة و البغال و الحمير و غيرها...تزيد عن 70 % من القوة المحركة المستخدمة في القطاع التقليدي"([2]).

إن انتقالها للحديث عن سيرورة العملية (التويزة) حاليا دليل على حدوث انتقال و تغييرهذه الممارسة، فأصبح أغلب الناس يعتمدون على أنفسهم، حيث ساهمت العديد من العوامل في انفراد الكثير من الناس بالعمل منها التخلي عن العلاقات الأولية و استبدالها بالعلاقات الثانوية ، أي الانتقال من العائلة الممتدة التي تجمع العديد من أفراد الأسرة و التي تعمل في إطار المشروع العائلي « الذي يعبر عن نوع محدد من العلاقات الإنتاجية تتسم بالطابع العائلي... و يبررها على

[1] جابر عوض سيد حسن.العمل مع الجماعات (مدخل، مبادئ، نماذج).المكتبة الجامعية، الأزاريطة، الإسكندرية، 2002،.ص 102.

[2] Revue statistiques Agricoles. N° 7. p 142.

العموم انخفاض مستوى تطور القوى الإنتاجية فيه يترتب عنه في العادة الإكثار من استخدام العمل مكان الآلة »[1] أي الانتقال باتجاه العائلة النووية الصغيرة المستقلة فهناك جماعات أولية كالأسرة و رفاق الجيرة و زملاء العمل، وهناك أسضا جماعات ثانوية كما يرى أحمد زهران « هناك جماعات ثانوية كجماعة مكان ينتمون لمركز واحد » ([2]).

لقد ركزت هذه الحالة على ضرورة تنشئة الأطفال تنشئة سليمة و التي تؤدي إلى استمرار تقديم العون و الحفاظ على تبادل المنفعة، إذ ينظر إليها كولن على أنها المؤدية لتكامل الأفراد «هي التي تؤدي إلى تحقيق تكامل الفرد و المجتمع الذي ينتسب إليه من خلال اكتسابه القيم و المعايير و السلوك الاجتماعي للقبول من خلال تفاعله مع الآخرين » ([3]).

إلا أنها قد ربطت بين تبادل المنفعة و ضرورة اتحاد المشاعر النفسية لضمان استمرار الوحدة و التمسك و التضامن بين أفراد المجتمع الواحد حتى بعد انتهاء الممارسة (التويزة).

و تلعب الأسرة الدور الفعال من خلال التنشئة الاجتماعية و هو ما يؤكده جابرعوض سيد حسن « تظهر أهمية الأسرة في قوتها الموروثة من جانب و قوتها في التنشئة و التطبيع الاجتماعي من جانب آخر » ([4]).

كما أنها قد ركزت أيضا على مصطلح التبادل، هذا الأخير الذي لا يتم بين الأفراد إلا إذا لم يكن هناك تشابه و تجانس و تماثل في الأشياء المتبادلة، و هذا يدل على أن التعاون في هذه المجتمعات يتوجه نحو التضامن العضوي، كذلك ربطها لهذه المبادلة التي تتم بين الأفراد بضرورة اتحاد المشاعر النفسية و هي عبارة عن كل أخلاقي صادر عن الضمير الجمعي « ففي التضامن الآلي نجد مجتمعا يستند إلى الوحدة هي بمثابة كل أخلاقي أما في التضامن العضوي فيضعف هذا الكل

[1] محمد بلقاسم حسن بهلول.مرجع سابق . ص 39.
[2] حامد عبد السلام زهران.علم النفس الاجتماعي.ط2.عالم الكتب، القاهرة، 1973.ص 57.
[3] جابر عوض سيد حسن.مرجع سابق. ص 116.
[4] نفس المرجع، ص 86.

الخلقي » ([1]) إذ أن التفاعل بين الأفراد في التضامن الآلي يكون بطريقة مباشرة تطغى عليه العاطفة.فيتأثر سلوك الفرد تأثرا بالغا بما يتوقعه من استجابات الأفراد الآخرين بمعنى أن هذا الفرد لا يسلك ما يخالف و ما يخدش شعور الجماعة.

ثم إن هذا التبادل لا يكون من خلال الأشياء المتماثلة حيث « تشابه الوظائف التي يقوم بها الفرد حيث يكون التضامن بين البدائيين آليا، و هو ما يفسر طبيعة السلوك الاستاتيكي الثابت بين البدائيين حيث يمكن التنبؤ به مقدما » ([2]). إن فكرة المبادلة تدل بالأساس على فكرة أخرى ألا و هي فكرة تقسيم العمل التي تسود المجتمعات المتميزة بالتضامن العضوي حيث « يرتبط التبادل بتقسيم العمل الاجتماعي » ([3]).

و بالتالي نلاحظ أن هناك تغيرات جعلت المجتمع ينتقل من التضامن الآلي الذي يعتمد على قوة الضمير الجمعي و التجانس إلى التضامن العضوي الذي يتميز بظاهرة تقسيم العمل الاجتماعي.

الحالة التاسعة:

تركيز هذه الحالة الحديث عن التويزة المتعلقة بالحصاد و إقامة الأعراس دون البقية لتأكيد انها شهدت نقصا في هذه الأعمال حيث عوض العنصر البشري بوسائل حديثة، و أصبح أغلب من يمارس التويزة في الوقت الحالي أولئك الذين لا يمتلكون إمكانيات اقتصادية.

ففي وقت بعيد مثلت الجماعة سندا قويا لدعم النظام الاقتصادي القبلي« المسلمون شركاء في ثلاثة: الماء والكلأ و النار » ([4]).أما بعد دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر، عمد إلى التفريق بين هذه القبائل بشتى الطرق، ففكك بنيان هذه القبائل و تماسكها من خلال استيلائه على أراضيها التي تمثل

---

[1] Durkheim Emile.De la division du travail social.Felix Alcan, Paris, p 85.

[2] محمد إسماعيل قباري.علم الاجتماع الفرنسي.دار الكتب الجامعية، 1971، ص 179.

[3] عبد الله ساقور.مرجع سابق، ص 20.

[4] عبد المجيد مزيان.النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون و أسسها من الفكر الإسلامي و الواقع المجتمعي.المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، د.س، ص 222.

المبدأ الأساسي للّحمة بينهم« و نجد الملكية الجماعية أيضا عند الجماعات المحلية المستقرة في القرى و قد وصل إلينا هذا النوع إلى عهد غير بعيد و ... و بقي حيا إلى أن فكك الاستعمار بنياته بعد الاستيلاء على أراضي السهول » ([1]).

أما بعد الاستقلال فقد أخذ أصحاب الأرض أراضيهم لكن و بانعدام الوسائل ، عمد أصحابها إلى الاعتماد على بعضهم البعض في تحصيل المنتوج و حصده، و دام هذا النوع لعدة سنوات و بسبب تطور الآلات ، اقتصرت هذه الممارسة فقط على القرى التي تشهد هي الأخرى عدة تغيرات تعود لعدة عوامل يمكن حصرها في تحسن الأحوال المادية و انتشار مختلف طرق الدّعم من خلال القروض التي تمكن من الحصول على الجرارات و إنتهاج سبل الربح السريع بدل الاعتماد على الأرض، أما البقية التي تعتمد على التويزة حاليا كطريقة لرفع العسر و المشقة فيعود السبب في ذلك لصعوبة التضاريس التي تحول دون استعمال و شراء الوسائل.

إن هذه المقابلة في مجملها تدلّ على اللحمة و التماسك بين أفراد القبيلة من خلال القرابة سواء الجيرة أو النسب و هذا ما نلاحظه إذا ما عدنا للسلوك الذي يسلكه الأفراد اتجاه العريس من زيارات حتى بعد انتهاء الاحتفال بغية التخفيف من العجز المالي حيث تقام الحجبة بغرض التسلية لما يحتويه من قوانين و أساليب الترهيب و العقاب فعملية حجز إحدى ممتلكات الأفراد المتواجدين بغرفة العريس عند زيارته أو عند العروس بالنّسبة للمرأة (كالنّعال مثلا) تُعرّض صاحبها للإختيار بين إحضار ما يتّفق عليه الوزير و العريس من مأكل و نقود أحيانا و بين أسلوب من أساليب العقاب المحدّد أيضا من طرفهما و هذا العقاب عادة ما يكون شديد القسوة يصل إلى درجة ربط الأفراد الممتنعين عن إحضار الشيء المتّفق عليه عند شجرة ما و يتمّ ضربهم ضربا مبرحا و بهذا الأسلوب فإن الفرد يجد نفسه ملزما لتوفير ما طلب منه لتفادي الوقوع في العقاب هذا من جهة. و من جهة

[1] نفس المرجع.ص 224.

أخرى فهي أسلوب غير مباشر لمعاونة هذا الأخير.لكن حاليا قد اختفت هذه الممارسة ، و نلاحظ أنه حتى من تُكلّف بالطبخ في الأعراس تُحْضَرمن خارج الأسرة بعد أن كان النساء يتعاون في التحضير للأعراس.

إن مجمل هذه التحولات سببها الاحتكاك بالمدينة، فخروج عدد كبير من ساكنة الخميس باتجاه مدن عدة ثم رجوعهم إليها جعلتهم ينقلون إليها الكثير من خصائص المدينة و أفكارها و ثقافتها ودراسة هذه التحولات و التجديدات الطارئة على مستوى العلاقات القرابية الاجتماعية و كذلك حتى على مستوى القيم لابد أن تتم على المستوى المادي التقني، العلائقي الاجتماعي و كذلك المستوى الثقافي و من خلال مقارنة الوضع الذي كان سائدا قبل حدوث هذه التغيرات و كذلك بغية معرفة نسبة و درجة التحولات « فدراسة هذه التحولات تفرض وجود صورة متخيلة أو واقعية يتم اعتمادها كنقطة مرجعية انطلاقا منها و عبر مقارنتها مع الوضعية الراهنة » ([1]).

فطبيعة الاحتكاك المتبادل هي التي تساهم في التحولات الحاصلة في المجتمع حيث يرى إسمسل دوركايم دوركايم في كتابه الصادر سنة 1912 حول: " Les formes élémentaires de la vie religieuse " أن نمو المجتمعات يكون في الحجم و من خلال الاحتكاك المتبادل.

<u>الحالة العاشرة:</u>

التناوب على العمل سواء بالنسبة للنساء أو الرجل بغرض إتمام العمل في وقت قصير من جهة و لتفادي التعب من جهة أخرى.فالتويزة التي استعانت بنظام النوبة و جسدته من خلال تناوب عدة أشخاص على نفس الدور، و في المقابل نلاحظ أن هناك فئات تستمر و تداوم على تقديم المساعدة و يعود ذلك لدرجة القرابة التي تربط الأفراد بالمتوز له، إذ نجد أن من تربطهم علاقات قرابة

[1] G.Lazerev.Le changement social developpement.Etudes socialogiques sur le Maroc. NE,Besm,1978. P130

دموية بالمتوز له يحرصون على مداومة العمل و تقديم العون بأي طريقة كانت، أما الأفراد الذين تربطهم علاقات ثانوية كالجيرة فإنهم يأخذون قسطا من الراحة أي لا يداومون على العمل كالآخرين و هذا راجع لقوة العلاقات و متانتها و تماسكها بين الأقارب بالدم. كما يظهر هذا من خلال زياراتهم المتكررة للمتوز له حتى بعد انتهاء التويزة بغرض تفقده.

إن تكليف فئة الأطفال ببعض الأعمال الشاقة ماهو إلا تمهيد للاعتماد على النفس في المستقبل القريب فهي محاولة لتنشئتهم على حب تقديم العون و على التماسك و التآخي و التعاون لرفع الضرر، كما نلاحظ حرص الكبار تقديم النصائح و الأحاديث لهذه الفئة، بل حتى بعض الأساطير التي تحث على التعاون في كل مرة و نذكر من بين ذلك الرواية التي قدمها أحد الشيوخ الذين كانوا حاضرين أثناء الممارسة و التي مفادها أن أحد الشيوخ كان له ثلاثة أبناء (أولاد) فطلب منهم انجاز مهمة تتمثل في إحضار حزمة من الحطب ففعلوا، فطلب من كل فرد منهم أن يأخذ عودا واحدا و يقوم بكسره فاستطاعوا بسهولة ثم أمرهم بأخذ الأعمدة جملة واحدة و طلب منهم إعادة كسرها فما استطاعوا.ومن خلال هذه الرواية نستنتج أن فئة الكبار تعمل على غرس القيم الاجتماعية فيهم على اعتبار أنهم مشروع استثمار في المستقبل « حيث يخضع الأفراد إلى نوع من الحياة العائلية والرابطة العاطفية الدينية غير المبنية على أساس الدم » ([1])، حيث شخّص هذا الشيخ الرواية التي قدمها في مجموعة من الرموز و الشخصيات التي تمثلت في الشيخ و أولاده، أما الرموز فتمثلت في حزمة الحطب التي طلب الشيخ من أبنائه إحضارها و أخذ مجموعة من الأعمدة و أعطى كل ابن من أبنائه عودا و طلب منهم كسره ففعلوا.

و الحكمة من هذه القصة أن الجماعة هي سبب اللحمة و التماسك و التضامن بين أفراد المجتمع و أن الفرد الواحد لا يستطيع فعل ما تصنعه الجماعة إذ أن الرموز لها قوة استجلاب المشاعر

[1] فريد عبد الخالق.الإخوان المسلمون في ميزان الحق.ط1.دار الانتفاضة، الجزائر، 1991.ص34.

و من ثم فهي تعتبر- نتيجة لتاريخها المشترك مع المقدس- واحدة من القوى المثيرة للمشاعر الإنسانية« فهي طريقة فعالة لتقوية وحدة الجماعة » ([1]) كما يراها تالكوت بارسونز.

<u>الحالة الحادية عشر:</u>

وضعها لشروط في تعريفها للتويزة و تأكيدها على ضرورة تفقد المتوز له لمعايير سلامة التوازة إنما هو انعكاس للحادثة التي تعرض لها زوجها خلال هذه الممارسة، فشعورها بالحسرة على عدم وجود آلات متطورة في وقت سابق بدا واضحا حينما أثرنا السؤال المتعلق بالتغيير الحاصل في هذه الممارسة " لو كان الحالة كانت ساهلة كما دروك ماراه داك المخلوق في هذه الحالة" حيث إن دخول مثل هذه التكنولوجيات إلى الوسط الريفي يلعب دورا في تقليص حجم المبادلات بين العائلات حيث ذكر تالكوت بارسونز T.Parsons « أن عمليات التصنيع تؤدي إلى عزل العائلة عن شبكتها القرابية »([2]).

و منه فإن هذه الآلة كان بإمكانها أن تجنب زوجها الحادث فتحسرها على وضعيته يدل على رفضها للمشاركة في أي تويزة كما يترجم ترحيبها بالتغير الذي حدث على المستوى التقني، هذا الأخير الذي يؤدي بدوره إلى الحد من التفاعلات الاجتماعية في البناء الاجتماعي و بالتالي فإن هذه الحالة ترفض رفضا مباشرا ممارسة أحد أفراد عائلتها التويزة خصوصا إذا ما تعلق الأمر بالأعمال الشاقة كالبناء أو الحصاد، كما أكدت لنا أنه حتى بتوفر التقنيات الحديثة فإنها لن توافق بأي شكل من الأشكال دخول أبنائها في هذه الممارسة و قد أعطت لنا مثالا حولا وفاة أحد الأشخاص بمنطقة السّهب التابعة لمدينة سبدو أثناء عملية الحصاد رغم أنه اعتمد على الجرار الذي كان سببا في حادثة وفاته.

[1] Parsons Talcott. Le système social .Op.cit, 1951.p 398.
[2] حسين خريف.مرجع سابق.ص 66.

الحالة الثانية عشر:

اقتران تقديم المساعدة بعدة مفاهيم يرقى بهذه الممارسة من إطار الإلزام إلى إطار الخدمة الاجتماعية فهي فعل جماعي مشترك يهدف إلى انجاز عمل اجتماعي لفائدة الشخص أو الجماعة " فاندماج الفرد وسط الجماعة من خلال ما يقدمه الأفراد من قصص و نكت و أغاني ترفع معنوياتهم و تنشر بين التوازة الألفة و درجة من العفوية حيث ينتقل الفرد إلى وضع يكون فيه مؤثرا و متأثرا دون وسائط إذ إن التفاعل كما يعرفه مراد مرداسي أنه الوضع الذي يكون فيه الفرد يؤثر و يتأثر بوجوده مع الآخرين ([1]).

فجملة هذه الشروط تفرض على الأفراد الدخول في ممارسة تجمع بين ثلاث جوانب اجتماعية اقتصادية و نفسية تتجسد في طرق و عمليات التفاعل الاجتماعي بينهم و هو ما تؤكده نسبة 47,61% التي ترى أن هدف التويزة يحقق بالدرجة الأولى معاني التضامن،التعاضد و التعاون فهي بذلك ممارسة تقوم بإعادة إنتاج الروابط الاجتماعية بين مختلف فئات المجتمع،أما إذا نظرنا إلى فائدة التويزة من الناحية الاقتصادية فتظهر من خلال العائد المادي لها،أما الجانب النفسي للممارسة فينعكس من حيث سلوك الأفراد المشاركين و المستفيدين منها سواء كان ذلك أثناء أو بعد العملية كطبيعة الجو السائد بين الأفراد أثناء تعاونهم أو حتى المشاعر و الأحاسيس

التي تجعلهم ملزمين برد الجميل لمن قدّم يد المساعدة بعد الانتهاء.

لقد لاحظنا خلال مقابلتنا مع هذه الحالة تقبلها ما حدث من تغيرات في المجتمع لكنه أضاف شرط ضرورة تعليم الأبناء العادات و التقاليد و بالتالي اعتماد الازدواجية في الحياة بين التقليدي و المعاصر كما أكد ذلك نور الدين طوالبي الذي قال بأن مختلف عمليات التكيف و التقبل تتم

[1] مراد مرداسي.مرجع سابق.ص 139.

بواسطة الدمج اللاإرادي ([1])،حيث يكون التكيف لاشعوريا و دون تكلف.

الحالة الثالثة عشر:

إدخال هذه التغيرات خلال إقامة العرس بغرض التخفيف من العناء جاء من خلال حمل فئة من هذه العائلة لثقافة المدينة إلى مجتمع الفحص حيث تكلفت خالات هذه العروس اللواتي يقمن في المدينة مصاريف التعديلات و التغيرات التي قمن بها و هذا كله بغرض تخفيف الجهد العضلي المبذول إذ أن إحداث تغييرات في المجتمع الريفي يلعب دورا في تقليص حجم المبادلات الاجتماعية بين العائلات حيث ذكر تالكوت بارسونز أن عمليات التصنيع تؤدي إلى عزل العائلة عن شبكتها القرابية([2]) لكن في المقابل لاحظنا تأسف الوالدة على هذا الاستبدال من خلال قولها " الصوف ما يجي بلاصتوا حتى حاجة " و هذا يدل على رفض ثقافة المجتمعات الأخرى، لكن في المقابل حاولت التكيف مع هذا الوضع من خلال مزاوجة التقليد بالمعصرة، على اعتبار أن الفرد يجد صعوبة في تغيير عاداته و تعديلها « إن المجتمع يتهيب من تغيير عاداته و لا يرضى تعديلها بسهولة بعادات غير معروفة بعد و لا مضمونة حتى و لو كان هذا التغيير نحو الأفضل » ([3]).

ثم إن لوم العمّات لهذه الوالدة جاء من خلال الخصائص المميزة للبناء الريفي الأسري حيث إن الزواج أمر يعود لاستشارة أفراد الأسرة بأكملها كما يرى ذلك عدلي أبو طاحون

« الأمور المتعلقة بزواج الأبناء هي مسألة تخص الأسرة بأجمعها » ([4]) فعلى الفرد أن يستشير أفراد العائلة و هذا الموقف يؤدي إلى الاعتقاد بأن الأفراد هم الذين قد تغيروا من خلال تغير طباعهم و أخلاقهم و هذا ما أدى إلى استجلاب ثقافة المدينة و محاولة دمجها في مجتمع بني سنوس

---

[1] Noureddine Toualbi.Le sacré ambigu. Entreprise nationale du livre, Alger, 1984. p 133-146.

[2] ParsonsTalcott.Le système social.1951.p398 .

[3] عطا الله الزاقوت.العادات و التقاليد في جبل العرب.ط1.دار علاء الدين، دمشق، 2000. ص 6.

[4] عدلي أبو طاحون.مرجع سابق. ص 74.

كما يؤكّد ذلك محمد سبيلا حيث قال أن هناك اعتقاد غير دقيق مؤدّاه أن الأفراد هم الذين تغيروا و أن تغير طباع و أمزجة و أخلاقيات الأفراد هي السبب فيما يحدث من تغيرات اجتماعية لكنها نظرة غير دقيقة فالذي تغير هو الشروط الاجتماعية التي يحيا ضمنها الأفراد ([1])

<u>الحالة الرابعة عشر:</u>

نلاحظ أن هذه الحالة تعيش أيضا ازدواجية التقليد و المعاصرة، حيث نجد ارتباطه الشديد بالأرض من خلال حرصه على استرجاع قطعتي الأرض الخاصة بأخواته و عدم تركها لإخوته الآخرين نظرا لاعتقاده بضرورة الحفاظ على ما تركه الأجداد و هذا يؤدي إلى حدوث التماسك بين الأفراد داخل البناء الواحد، هذا التماسك الذي يكون بطريقة لا إرادية ينبغي ان يتأسس على مجموعة من الالتزامات كما يراها عبد الهادي الجوهري « مواقف الترابط فيما بين الأفراد الواحد بالآخر من خلال مجموعة من الالتزامات » ([2]).

و هذا الشعور يوفر الشروط المناسبة للتويزة و في المقابل فانه يرى أن ممارستها في الوقت الحالي ضرب من الخيال نظرا للتغيرات التي حدثت على مستوى البناء الأسري الريفي و الذي أدى إلى تغير الكثير من العادات و التقاليد بما يناسب الأجيال الحالية، فجملة هذه الإضافات لم تكن موجودة في وقت مضى كما أشار إلى ابنه الذي يساعده على خدمة الأرض دون ذكر بقية الأبناء الآخرين بغية لفت انتباهنا إلى أنه رغم محاولاته نصح أبنائه للتوجه لخدمة الأرض إلا أنهم رفضوا و بالتالي فان أبناءه رفضوا أن يتوجهوا نفس توجهه و منه لابد من تنشئة الأبناء منذ الصغر على أن يتوجهوا مثل آبائهم « لابد من حدوث تنشئة اجتماعية تدرب الأبناء منذ الصغر بحيث يتشابهون مع الآباء »

[1] محمد سبيلا.مرجع سابق.ص366
[2] عبد الهادي الجوهري.قاموس علم الاجتماع.المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998.ص 96.

.([1])

الحالة الخامسة عشر:

إن التماسك الناتج عن الأسرة الممتدة ظل و لا زال يمثل دعما قويا لاستمرار التعاون و بحكم روابط القرابة التي تجمع بين أفراد هذه العائلة، فان تعاونهم في خدمة الأرض أمر واجب لاعتباره مصدر رزقهم و هو ما جاء في قول هذه الحالة فالتويزة بالنسبة له تتم بشكل تلقائي بمعنى أنها أصبحت شيئا عاديا في حياته، حيث لا ينجز أي نشاط بشكل تام إلا من خلال تعاون أفراد عائلته سواء كانوا ذكورا أو إناثا.

و نلاحظ أن غالبية حديث هذه الحالة أو خطابها كان دائما مصحوبا بأحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم أو بآيات من القرآن الكريم، لكنه أيضا قرن هذه المساعدة باحتمال آخر و هو إمكانية انتظار الرد وقت الحاجة.

فخضوع الفرد لظروف الحياة و استجابة لمطالبها جعل الممارسة تتم بشكل تلقائي كما أنه غالبا ما تسبق التويزة أشكال أخرى من التعاون فكما أكدت لنا هذه الحالة أن كل تويزة تسبقها تويزة مصغرة وهذا ما توضحه الصورة من خلال تعاون الأفراد على توفير الوسائل لجمع المصول

[1] عدلي أبو طاحون. مرجع سابق.ص 75.

الصورة رقم07 : توضح التعاون على تحضير الوسائل للتعاون على جني المحصول

المبحث الرابع :مناقشة النتائج و التأكد من الفرضية:

من خلال تحليلنا و تفسيرنا للمقابلات ، توصلنا إلى أن التويزة ممارسة شعبية ذات أبعاد اجتماعية اقتصادية و ثقافية، تعمل على إعادة إنتاج الروابط الاجتماعية على اختلافها، إذ أنها تنتج كافة مشاعر التعاضد و التعاون و التماسك الاجتماعي.

و ممارسة التويزة في الوقت الحالي لا تزال مستمرة في بعض المناطق من دائرة بني سنوس، لكن بنسبة أقل مما كانت عليه في السنوات القليلة الماضية، كما أنها تأثرت بالتحولات و التغيرات الاجتماعية التي كانت على مستوى الأنظمة على اختلافها (نظام أسري، نظام اقتصادي ...) فمست العلاقات الاجتماعية (علاقات القرابة و الجيرة) و مست النظام الاقتصادي (من زراعة و رعي و صناعة تقليدية) و جملة هذه التحولات ساهمت في تغيير طريقة و كيفية ممارسة التويزة حاليا،حيث حاول سكان منطقة بني سنوس تكييف عاداتهم و تقاليدهم مع حجم التغيرات الاجتماعية و هذا التكييف الاجتماعي حدث على مستوى عمليات التنشئة الاجتماعية، العادات و التقاليد و الممارسات اليومية، و ذلك بما يتوافق مع تحقيق الرغبات الفردية دون ربطها بما يلائم و يناسب باقي الجماعة الاجتماعية أين يظهر جليا حجم هذا التحول الذي أثر بشكل كبير على نمط علاقات العمل في بني سنوس و على العلاقات و الروابط الاجتماعية و قد أكد ذلك " انجلز " من خلال دراسة أجراها حول تأثير التحولات الاجتماعية على القيم الاجتماعية، فيرى أن الحضارة الغربية كانت سببا في إضاعة القيم الإنسانية و من بين تلك القيم الروابط التي تحكم العلاقات الأسرية و شكل الأسرة ذاتها ([1]).

[1] حسين خريف.مرجع سابق،ص 71.

و في المقابل نلاحظ تمسك عدد كبير من السكان بقيم الدين الإسلامي الذي يوصي بالتكافل و التماسك و التعاون و يظهر ذلك من خلال عودة هذه الحالات إلى القرآن الكريم أو إلى الأحاديث النبوية الشريفة التي تنصّ على المعاونة، إذ أنهم يرجعون في كل مرة إلى الذاكرة الجماعية حينما يستدلون بالأمثال و الحكم و القصص الشعبية السائدة في المخيال المتوارث عن الأجداد (يد وحدة ما تسفّق، اليوم عليا و غدا عليك...الخ)و كذلك استحضار القران الكريم كقوله تعالى : « وَ تَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَ التَّقْوَى وَ لاَ تَعَاوَنُوا عَلىَ الإِثْمِ وَ العُدْوَان » وأيضا أقوال النبي محمد صلى الله عليه و سلم المختلفة ولعل أبرزها« مَنْ كَانَ فيِ حَاجَةِ أخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ» و هناك أيضا من رجع إلى القصص الشعبية مثل الحالة التاسعة للحديث عن ظاهرة الحجبة التي تعبر عن نوع من أنواع التويزة و التي تستمر حتى بعد انتهاء العرس.فهذا الإرث الثقافي هو ما يسميه بيار بورديو برأس المال أو الرصيد المشترك في دراسته للمجتمع الجزائري من خلال كتابه sociologie de La l'Algérie و بالتحديد في الفصل الرابع الذي كان بعنوان : Le fonds commun حيث يرى أن المجتمع الجزائري شهد تغييرا لكنهبوتيرة بطيئة و يتمثل الرصيد المشترك عنده في الدين الإسلامي و مجموعة القيم المميزة لهذا المجتمع المتمثلة في التثاقف الشفهي المتوارث عبر الأجداد و هي تتضمن « الحكايات، الأغاني و الأشعار و هي تمثل مجتمعة شبكة متصلة الحلقات تعمل على نقل القيم من جيل لآخر » ([1]).

و من بين هذه التحولات التي كانت سببا مباشرا أو غير مباشر في الحد من التويزة في بني سنوس نجد دخول التقنيات الحديثة للمنطقة و هذا يتضح من خلال بعض الوسائل الحديثة

(كالجرارات مثلا) التي تحد من المجهود البشري المتمثل في الأيدي العاملة و هذه التحولات لم يسلم منها حتى النظام الأسري في المنطقة.

[1] حسين خريف.المرجع نفسه.ص 65.

فالتطور الحاصل على المستوى التقني الآلي ساهم في انتقال العامل في بني سنوس من منتج الأدوات بغرض الاستعمال الذاتي (خلال عملية إعادة الإنتاج) إلى مسير للعمل فقط و ذلك اعتمادا على الآلات (كالجرار الذي خلف عدة أدوات تقليدية منها المنجل و المحراث التقليدي).و بالتالي استبدال الجهد العضلي المعتمد على الإنسان بحد ذاته بالمجهود الميكانيكي الآلي.

إلا أنه خلال بحثنا، لاحظنا أن هناك من السكان من لا يزال يستعمل الأدوات التقليدية على رأسها المحراث التقليدي و ذلك يعود لصعوبة التضاريس و استحالة وصول الجرار إليها، أو بسبب الوضع الاقتصادي الذي يحول بين الفرد و بين شرائه أو حتى كرائه للجرار أو الحاصدة.

أما فيما يخص التحولات التي تمت على مستوى الأسرة في بني سنوس فتحولت من الطابع الممتد الذي يعتمد على الأسرة المركبة الموسعة إلى الطابع النووي الذي الذي أساسه الأسرة البسيطة و الذي ساهم في الانتقال من نموذج اجتماعي و اقتصادي منتج يقوم بالدرجة الأولى على علاقات القرابة و يعتمد على الإنتاج الزراعي إلى نمط فردي استهلاكي يحكمه العمل المأجور و يؤكد ذلك تالكوت بارسونز « T.Parsons» الذي يعتبر أن عمليات التصنيع تؤدي إلى عزل العائلة عن شبكتها القرابية في مرحلة أولى، ثم يتقلص حجم المجموعات العائلية إلى عائلة نووية بعدد قليل من الأطفال و تتحول المجموعة إلى وحدة سكنية استهلاكية كما أنها فقدت وظائفها و لم يبقى لها من دور سوى التنشئة الاجتماعية للأطفال ([1]).

إن من أهم العوامل أيضا التي لعبت دورا مهما في إحداث التغيير في التويزة كممارسة، نجد عامل الهجرة، إذ شهد الريف الجزائري نزوحا معتبرا نحو المدن باتجاه مناطق أكثر أمنا و هذا ما تؤكده المعطيات الإحصائية المتوفرة من التعداد السكاني، إذ ارتفع عدد سكان المدن بمعدل حوالي 130 ألف نسمة سنويا، بمعنى أن زيادة سكان المدن سببها الهجرة الريفية، حيث تدرجت نسبة سكان

[1] Martine Segalen. Sociologie de la famille. Armand Colin, 1996. P 90.

المدن خلال سنوات ما بين 1966-1977-1987 فبلغت 56,1 % ثم 61,2 % ثم 70,8 % و هي زيادة مصدرها الهجرة الريفية ([1]).

و في المقابل نجد أن السكان الذين لا يزالون يحرصون على ممارسة التويزة إنما هي بغرض سد العجز الناتج عن الأحوال الاقتصادية و سوء الأحوال المادية (الطبقة الفقيرة) أو بسبب التّموقع الجغرافي و السكن في أماكن محاذية للجبل و الوادي يستحيل أن تصل إليها الآلة أو الجرار.

إن التحولات التي حدثت على المستوى التقني و الأسري و الثقافي أدت إلى تقليص ممارسة التويزة في منطقة بني سنوس، أما المناطق التي لا تزال تعتمد عليها، فقد أدخلت عليها تغيرات بما يناسب طبيعة التقاليد من جهة و ما يتلاءم مع الظروف الحالية من جهة أخرى، فهي تجمع بين التقليد و المعاصرة.

[1] حسين خريف.مرجع سابق.ص 70.

المبحث الخامس :المناقشة العامة:

يمكن تلخيص أهم العوامل المؤثرة على ممارسة التويزة في بني سنوس كالتالي :

1- التحولات الاجتماعية:

و هي تضم جملة التغيرات التي حدثت في مجتمع بني سنوس، فكانت في ثلاث مستويات:

- التحول العلائقي الاجتماعي: من خلال تحول الأسرة بني سنوس من الإطار الممتد الموسع و الذي يظم شبكة علاقات القرابة و الجيرة إلى الإطار البسيط النووي المستقل عن الجماعة و الذي يعتمد على الأفراد كوحدة أساسية.
- التحول المادي التقني: و الذي حدث بسبب احتكاك مجتمع بني سنوس بالمناطق المجاورة، فتم استبدال الجهد العضلي بالجهد المادي الآلي الذي يعتمد على الآلة كأساس.
- التحول الرمزي الثقافي: و الذي تمثله مجموعة القيم و العادات و التقاليد و الطقوس و الممارسات اليومية السائدة في المجتمع و التي حاول الفرد في بني سنوس تكييفها بما يناسب تحقيق رغباته الفردية بسبب التحولات المادية و التقنية و الأسرية التي سبقت التحولات الثقافية.

2- النزوح الريفي:

يتمثل في عامل الهجرة، حيث أدى تدهور الأوضاع الأمنية في بني سنوس في فترة التسعينيات إلى نزوح عدد كبير من السكان باتجاه مناطق أخرى من الدائرة أو حتى خارجها حيث تكون أكثر أمنا و على الرغم من أن الدولة الجزائرية قد ساهمت بشكل كبير في رجوع عدد معتبر من السكان لمناطقهم، إلا أن هذا لم يعمل على رجوع هذه الممارسة إلا في حالات استثنائية كصعوبة التضاريس التي تحول بين الفرد و بين استخدامه للجرار أو الحاصدة أثناء الحرث بغض الأعراس التي تعتمد على مبدأ التعاون الذي يعتبر ركيزة العلاقات الاجتماعية و استمرارها في المنطقة.

نتائج عامة:

- تعمل التويزة على إعادة إنتاج الروابط الاجتماعية على اختلافها خلال ممارستها.
- مس التغير الاجتماعي عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد حيث طغى الجانب المادي على الجانب المعنوي الأخلاقي الديني إضافة إلى عصرنة وسائل الإنتاج.

  ممارسة التويزة أصبحت حكرا على الطبقات الفقيرة، أما الطبقات المتوسطة فقد أدخلت عليها جملة من التغيرات.
- تعرضت ظاهرة التويزة في الوقت الحالي للكثير من التغيرات على مستوى الممارسة مما
- أكسبها خاصية المزاوجة بين التقليد و الحداثة (الازدواجية بين التقليد و المعاصرة).
- تتميز عملية التنشئة الاجتماعية في الريف بالبساطة و الوضوح و عدم التعقيد و تعتمد على التقليد و التلقين عكس المدينة التي تعتمد على التمييز و التفكير ثم الانتقاء و الاختيار فهي على درجة كبيرة من التعقيد، و باعتبار أن التحولات الاجتماعية لم تكن بمعزل عن الريف الجزائري فإن دخول بعض المكونات الحضارية زاد من تعقيد هذه العملية في الريف « فأساليب التنشئة الاجتماعية تتأثر بمجموع القيم و المعتقدات السائدة لدى الأفراد و هذه المعتقدات قد تكون ظاهرة أو مستترة في المجتمع ».
- نلاحظ أن مجمل المقابلات التي تمت حدد مكان إجرائها أمام المسجد و هو تصريح بالمكان المناسب الذي تنطلق منه التويزة من خلال أول مرحلة (مرحلة الإعلام بها).
- حصر السبب الرئيسي المؤدي للتحولات في ممارسة التويزة في التحولات العائلية و الاتجاه من النمط الممتد إلى البسيط النووي، و تحديث التكنولوجيا و طغاء الجانب المادي على الجانب الأخلاقي الديني بالنسبة لجميع المقابلات التي أجريت، إضافة إلى عامل الأمن الذي

سبب نزوحا نحو عدة مناطق من الولاية.

- أدى التغير الاجتماعي في مختلف الميادين في بني سنوس إلى التحول من العلاقات التعاونية التي تميز العائلة الموسعة (الممتدة) إلى علاقات تنافسية تميز العائلة البسيطة (النووية).
- تؤدي ظاهرة التويزة عدة وظائف رمزية، فإضافة إلى وظائف التوحيد، التضامن، التجانس و التماسك تعمل هذه الممارسة على تكريس وظائف سياسية، فتجعل الأفراد مسيرين من قبل من هم أكبر سنا تحت غطاء الحفاظ على العادات و التقاليد التي ينقلها الأكبر سنا إلى الأصغر.
- تساهم التويزة في زيادة الفاعلية لتحقيق أهداف المجتمع.
- تعريف غالبية المقابلات للتويزة على أنها نوع من التعاون المشروط يجعلها تشبه آخر مرحلة تمرّ بها الهبة التي تحدث عنها " مارسيل موس " ألا و هي انتظار المقابل و نلاحظ أن هذه المرحلة هي الأساس الذي تقوم عليه هذه الظاهرة.
- إن الخصائص التي يتميز بها المجتمع الريفي الجزائري خاصة مجتمع بني سنوس تجعله خاضعا للتضامن الآلي، لكن التغيرات التي مست مختلف أنساق البنية الاجتماعية جعلته يتحول باتجاه التضامن العضوي الذي يقوم على التخصص و الاستغناء عن الجماعة و تقسيم العمل الاجتماعي.

الخاتمة

يعتبر حقل الانتروبولوجيا حقلا جديدا و حديث النشأة في الجزائر و لذلك فان الدّراسات الانتروبولوجية حول هذا المجتمع لا تزال قليلة.

و من جملة هذه المواضيع الانتروبولوجية اخترنا ظاهرة التويزة بأبعادها الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية في مجتمع بني سنوس و حاولنا أن نزيل عن هذا الموضوع و لو قدرا قليلا من اللبس و الغموض، إذ توصلنا إلى أن التحولات و التغيرات الاجتماعية التي أصابت منظومة القيم الاجتماعية من عادات و تقاليد و تنشئة اجتماعية و دين و مختلف الممارسات الاقتصادية والاجتماعية في بني سنوس ساهمت بشكل كبير في التأثير على ظاهرة التويزة كممارسة و لكل عامل أثره الخاص به.و بتعبير آخر، فان استمرار التويزة يعود لهذه القيم الاجتماعية .

و خلاصة القول أنه رغم وصولنا إلى تحقيق غالبية الفرضيات السابقة خلال هذا البحث الميداني إلاّ أن البحث لا يزال غنيا بمعطياته، كما أن هذا الموضوع لازال خصبا و ثريا يحتاج إلى دراسات أخرى معمقة نظرا لأهميته و فائدته (موضوع التويزة) التي تعود على الفرد و المجتمع ككل،ثم إنه يفتح آفاقا بحثية أخرى في المستقبل.

المراجع و المصادر

باللغة العربية:

1- القرآن الكريم

2- أحمد عياد.مقدمة في إعداد البحوث الجامعية.ط1، مؤسسة قاعدة الخدمات الجديدة، تلمسان، 2002.

3- أحمد زايد و آخرون.التغير الإجتماعي.مكتبة الأنجلو المصرية، 2002.

4- السيد عبد العاطي و آخرون. الأسرة و المجتمع.دط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997.

5- إبراهيم مدكور.العادات و التقاليد.دط.مكتبة نهضة مصر، القاهرة، دس.

6- جابر عوض سيد حسن.العمل مع الجماعات (مدخل، مبادئ، نماذج).د.ط، المكتبة الجامعية، الازارطة، الإسكندرية، 2009.

7- حامد عبد السلام زهران.علم النفس الاجتماعي.ط2، عالم الكتب، القاهرة، 1973.

8- رالف لينتون.دراسة الإنسان.ت عبد الملك الناشف، المكتبة الجامعية العصرية، صيدا، بيروت، 1964.

9- سامية محمد جابر.علم الاجتماع الريفي.د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1990.

10- عبد الرحمان ابن خلدون.المقدمة.د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1993.

11- عبد الرحمان محمد عيسوي.دراسات في علم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، 1983.

12- عبد العزيز راس المال.كيف يتحرك المجتمع- نتاج ذلك على العلاقات الاجتماعية.ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

13- عبد المجيد مزيان.النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون و أساسها من الفكر الإسلامي و الواقع المجتمعي.د.ط، المؤسسة الوطنية الاتصال، الجزائر، دس.

14- عدلي أبو طالون.علم الاجتماع الريفي المدخل و المفاهيم.أنماط التغيير للمشكلات.دط، المكتب الجامعي الحديث، الازارطة، الإسكندرية، 1997.

15- عطا الله الزاقوت.العادات و التقاليد في جبل العرب.ط١ ، دار علاء الدين، دمشق، 2000.

16- فريد عبد الخالق.الإخوان المسلمون في ميزان الحق.ط١ ، دار الانتفاضة، الجزائر، 1991.

17- فوزية دياب.القيم و العادات الاجتماعية.د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1980.

18- محمد أبو زهرة.التكافل الاجتماعي في الإسلام.ط.ج، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991.

19- محمد أبو زهرة.الوحدة الإسلامية.د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1976.

20- محمد إسماعيل قباري.علم الاجتماع الفرنسي.د.ط، دار الكتب الجامعية، 1971.

21- محمد إسماعيل قباري.علم الإنسان.د.ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1973.

22- محمد بلقا سم حسن بهلول.القطاع التقليدي في الزراعة، د.ط.المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.

23- محمد توفيق أبو علي.صورة العادات و التقاليد و القيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية و شركة المطبوعات، لبنان، 2001.

24- محمد عبده محجوب و آخرون.التنشئة الاجتماعية، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الازاريطة،2005.

25- محمد عودة.دراسات في علم الاجتماع الريفي.د.ط، المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992.

26- مصباح عامر.التنشئة الاجتماعية و السلوك الإنحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية.ط1 ، دار الأمة، الجزائر، 2005.

27- مصطفى بوتفنوشت.العائلة الجزائرية التطور و الخصائص الحديثة.د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

28- مراد مرادسي.مواضيع علم النفس و علم النفس الاجتماعي.تآليف نظرية و منهجية د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.

29- موريس أنجرس.منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية تدريبات عملية.ت. أبوزيد صحراوي و آخرون، د.ط.دار القصبة، الجزائر، 1996.

30- نخبة من أعضاء التدريس في قسم الانتوبولوجيا.طرق البحث و أدلة العمل الميداني في الدراسات الانتروبولوجية.د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005.

31- نخبة من أعضاء هيئة التدريس.مدخل إلى الانتروبولوجيا.د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003.

باللغة الفرنسية:

1 -Abdelkibir Khatibi.Le Maghreb comme horizon de pensée, les temps modernes, 1977.

2-Aboulkacem Saadellah .Histoire culturelle de l'Algerié.Tome 9, Dar al-Islami. el Gharb

3-E.Destaing.Etude sur la dialecte bèrbère des Bni Snouss.Leroux, Paris, 1907.

4-Emille Durkheim.De la division du travail social.Felix, Paris, P 85.

5-Grianle.M.Methode de l'ethnographie. Puf.Paris, 1994.

6-Gean Copains. Introduction à l'ethnographie et à l'anthropologie. 2 ème é, Armand Colin, 2003.

7-J.P.Olivier de Sardan .L'enquête socio- anthropologique de terrain : Synthèse méthodologique et recommandations à usage des étudiants.Etude et travaux n° 13, lasdel,2003.

8-Lazerev.G.Le changement social.Etudes sociologique sur le Maroc.NE, Besm, 1978.

9-Malinowski Bronislaw.Les argonautes du pacifique occidental.Gallimard, Paris, 1989.

10-Mauss Marcel.Essai sur le don, 1925.

11-Mohamed Saridj.Verviene Fannée. Coutumes et traditions du pays des Beni Snouss .2001.

12-Noureddine Toualbi.Le sacré ambigu.Entreprise nationale du livre, Alger , 1984.

13-Paul Pascon .etude rurale. Samer, Rabat, 1980.

14-Stéphane Beand , Florence Weber.Gide de l’enquête de terrain.La découverte,Paris,1998.

15-Talccot Parsons.Le système social.1951.

الموسوعات و المعاجم :

1- أحمد شفيق السكّري.قاموس الخدمة الاجتماعية.د.ط، دار المعرفة الجامعية، الازاريطة، 2005.

2- بياربونت و آخرون.معجم الاثنولوجيا و الانتروبولوجيا. ت.مصباح الصمد، دط، المؤسسة الجامعية للنشر، لبنان، 2006.د

3- سهيل إدريس. المنهل الوسيط.ط12 ، دار الأدب، بيروت، لبنان، 2007.

4- عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد.موسوعة مصطلحات جامع العلوم.ط1 ، ناشرون ، لبنان، 1997.

5- عبد الهادي الجوهري.قاموس علم الاجتماع.المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998.

6- معن خليل العمر.معجم علم الاجتماع المعاصر.د.ط، الشروق، الأردن، 2000.

الرسائل الجامعية:

1- ابن أباجي أمينة.منطوق بني سنوس الامازيغي. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم اللهجات، 2008-2009.

2- علي عمار.ظاهرة التداوي بالأعشاب و النباتات الطبية في منطقة عين غرابة مخطوط ماجستير في الانتروبولوجيا.جامعة تلمسان.

المجلات و الجرائد:

*- باللغة العربية:

1- أزمة القيم و دور الأسرة في تطور المجتمع.أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ، 2001.

2- إنسانيات.العدد 07.جانفي-أفريل، 1999

3-الجمهورية .العدد 4195.السيادي، دار العلوم، عنابة،.2004

4-حسين خريف.المدخل إلى الاتصال و التكيف الاجتماعي.قسنطينة، الجزائر، 2005 .

5-عبد الله ساقور.الاقتصادالسياسي.دار العلوم، عنابة، 2004.

*- باللغة الفرنسية:

1-Centre de recherche en anthropologie sociale et culturelle.La socio-anthropologie ou comment repenser la méthode ?.

2-E.Destaing.Revue Affricaine, 1905.

3-Revue Affricaine.N° 79, office des publications universitaire.

4-Revue statistiques Agricoles n° 7.S.A.

المواقع الالكترونية:

1)- www.Benisnous.com.

2)- www.islamtoday.net.

3) www.tawiza.net.

4) www.ulum.net.

5) www.Walkalem.net.

6) www.leblover.com .

الملاحق

دليل المقابلة:

المعلومات الشخصية:

السن الجنس المستوى الاقتصادي المستوى الثقافي منطقة الإقامة

1- ماذا تعني لك التويزة و كيف يمكن أن تعرفها لنا ؟

2- كيف كانت تمارس قديما ؟

3- ما الذي تغير في ممارستها حاليا ؟

4- هل ترى أن الأدوات المستعملة في التويزة قد تغيرت ؟

5- لماذا ؟

6- كيف ترى مشاركة النساء في تقديم العون خلال التويزة ؟

7- كيف ترى مشاركة الأطفال في التويزة ؟

8- كيف ترى من يحرص على تعليم أبنائه تقديم المساعدة للناس ؟

9- كيف تعرفون أن فلانا سيقوم بالتويزة حتى تقدموا له المساعدة ؟

10- هل للمسجد دور في الإعلام بالتويزة ؟

11- إذا قدمت المساعدة لأحد المحتاجين هل تنتظر مقابلا لقاء خدمتك له ؟

12- لماذا ؟

13- إذا لم يستجب لك أحد الذين دعوتهم لمساعدتك و احتاجك مرة أخرى و دعاك لمساعدته كيف يكون ردّك ؟

14- لماذا ؟

15- كيف ترى من يساعد فقط من ينحدرون من عائلته دون سواهم ؟

16- هل تساعد فقط من ينتمون إلى عائلتك أم حتى من خارجها ؟

17- و هل تقبل بدورك أن يساعدك أشخاص من خارج عائلتك أو مكان إقامتك ؟

18- هل ترددون أغاني خلال التويزة، إذا كان نعم لماذا ؟

19- هل هناك من ينظم حفلا بعد الانتهاء من التويزة ؟

20- إذا كان لا كيف يشكرمن قدم له المساعدة ؟

الاســتمارة الاســتطلاعية:

في إطار الإعداد لمذكرة التخرج لنيل شهادة الماجستير في الانثروبولوجيا تحت عنوان ظاهرة التويزة و أبعادها الاجتماعية، الاقتصادية و الثقافية.نقدم هذه الاستمارة و نرجو من المستجوب التعامل معها بجدية و نحن نشكر له ذلك.

أجب عن الأسئلة بوضع علامة (X) أمام الإجابة التي تجدها مناسبة:

السن: الجنس: السكن: المستوى التعليمي:

1- ماذا يمثل لك تقديم العون ؟.

2- ما هو الأفضل في رأيك ☐الانفراد في انجاز الأعمال ☐ إشراك الآخرين

3- كيف ترى من يشرك الآخرين في انجاز أعماله هل من أجل

☐توطيد العلاقات ☐ الفائدة التي يكسبها

4- إذا طلب منك المساعدة في انجاز عمل ما هل

☐ تستجيب ☐لا تبالي

5- إذا دامت العملية مدة طويلة هل

☐تستمر في المساعدة ☐ تنسحب

6- إذا لم يطلب منك العون و رأيت أن جماعة ما في حاجة إلى دعمك هل:

☐تبادر لمعاونتهم ☐ تمر و لا تبالي

7- ما هي الأعمال التي يشارك الناس فيها بكثرة ؟.

.....

.....

.....

8- كيف ترى مشاركة النساء في تقديم العون ؟:

☐مهمة ☐ غير مهمة

9- هل ترى مشاركة الأطفال أمرا

☐ضروريا ☐ غير ضروري

لماذا؟.....

.....

10- ما هي أعمار المشاركين خلال انجاز الأعمال ؟

☐ كبار ☐ صغار ☐ كبار و صغار

11- كيف ترى من يحرص على تعليم أبنائه تقديم المساعدة بالعمل أو بالعتاد ؟

هل هو ؟: ☐مثالي ☐عادي ☐مغفل

12- من هم الذين يمكن لهم الاستفادة من مساعدتك هل ؟

☐من ينتمون فقط إلى عائلتك أو قبيلتك ☐ حتى من خارج العائلة

نتائج الدراسة الاستطلاعية:

1- **التنشئة الاجتماعية في المجتمع و علاقتها بانتشار ظاهرة التويزة:** و لقياس ذلك توجهنا لأفراد العينة بثلاثة (03) أسئلة كان نصها كالتالي:

- كيف ترى من يحرص على تعليم أبنائه تقديم المساعدة؟
- كيف ترى من يشرك الآخرين في انجاز الأعمال؟
- إذا لم يطلب منك العون و رأيت أن جماعة ما في حاجة لدعمك هل تبادر لمعاونتهم أم تمر بهم لا تبالي؟

الفئات	التكرار	النسبة
عادي	35	% 87,5
مثالي	5	% 12 ,5
مغفل	0	% 0
المجموع	40	%100

الجدول رقم 01

الفئات	التكرار	النسبة
توطيد العلاقات	30	% 75
الفائدة المكتسبة	10	% 25
المجموع	40	% 100

الجدول رقم 02

الفئـات	التـكرار	النـسبة
المبادرة للمعاونة	39	% 75
لامبالاة	01	% 2,5
المـــجموع	40	% 100

الجـــدول رقم 03

2- **العادات و التقاليد و علاقاتها بظاهرة التويزة:** و لقياس ذلك توجهنا الأفراد العينة بثلاثة (03) أسئلة

كان نصها:

- ما هي الأعمال التي يشارك فيها الناس بكثرة؟
- كيف ترى مشاركة الناس في التويزة؟
- هل ترى مشاركة الأطفال أمرا ضرورية أم غير ضروري؟

الفئـات	التـكرار	النـسبة
إقامة الأعراس	20	% 33,33
حفر القبور و الآبار	06	% 9,99
أعمال البناء	08	% 13,33
الكوارث الطبيعية	02	% 3,33
الحصاد و الحرث	02	% 3,33
جني الزيتون	04	% 6,66
غسل الصوف	04	% 6,66
نسج الزرابي	02	% 3,33
المجموع	48	% 100

الجـــدول رقم 04

الفئـات	التـكرار	النـسبة
مهمة	39	% 97,5
غير مهمة	01	% 2,5
المجموع	40	% 100

الجـدول رقم 05

الفئـات	التـكرار	النـسبة
أمر ضروري	36	% 90
أمر غير ضروري	04	% 10
المجموع	40	% 100

الجـــدول رقم 06

3- الأصول الاقتصادية، الجغرافية و الثقافية و علاقاتها بالتويزة:

و لقياس ذلك توجهنا لأفراد العينة بثلاثة (03) أسئلة كان نصها كالتالي:

- إذا دامت العملية مدة طويلة هل تستمر في المساعدة أم تنسحب؟
- ما هي أعمار المشاركين في التويزة؟
- من هم الذين يمن لهم الاستفادة من مساعدتك؟

الفئـات	التـكرار	النـسبة
الاستمرار في المساعدة	26	% 65
الانسحاب	14	% 35
المجموع	40	% 100

الجـــدول رقم 07

الفئـات	التـكرار	النـسبة
كبار	06	% 15
صغار	00	% 00
كبار و صغار	34	% 85
المجموع	40	% 100

الجـــدول رقم 08

الفئـات	التـكرار	النـسبة
الانتماء إلى نفس العائلة أو الجماعة	06	% 15
حتى من خارج العائلة أو الجماعة	34	% 85
المجموع	40	% 100

الجـــدول رقم 09

4- استمد الفكر الجزائري ممارسة التويزة من الدين الإسلامي و لقياس ذلك توجهنا لأفراد العينة بثلاثة (03) أسئلة كان نصها كالتالي:

- ماذا يمثل لك تقديم العون (التويزة)؟

- ما هو الأفضل في رأيك الانفراد في العمل أم إشراك الآخرين؟

- إذا طلب منك المساعدة هل تستجيب أم لا؟

الفئـات	التـكرار	النـسبة
إتمام العمل في وقت قصير	02	% 5,55
في سبيل الله	08	% 22,22
مساعدة الناس لبعضهم البعض	20	% 55,54
تكافل بين الأفراد و تعاون	09	% 24,99
وئد الخلافات	01	% 2,77
المجموع	40	% 100

الجـــدول رقم 10

الفئـات	التـكرار	النـسبة
الانفراد في العمل	10	% 25
إشراك الآخرين	30	% 75
المجموع	40	% 100

الـــجدول رقم 11

الفئـات	التـكرار	النـسبة
تستجيب	39	% 97,5
لا تبالي	01	% 2,5
المجموع	40	% 100

الـــجدول رقم 12

الفئـات	التـكرار	النـسبة
تنشئة الأطفال على تقديم المساعدة و الإنتماء للجماعة	34	% 52,46
التضامن	03	% 6,52
الاستفادة	01	% 2,17
تضييعهم للوقت	06	% 13,04
إفسادهم للمنتوج باللعب	01	% 2,17
الغش في العمل	01	% 2,17
تعطيل العمل	05	% 10,86
اكتساب الخبرة	02	% 4,34
لا يتحملون المسؤولية	02	% 4,34
لإظهار الذات و لفت الانتباه	01	% 2,17
المجموع	46	% 100

الجدول رقم 13 (خاص بالسؤال المفتوح)

صور خاصة باحتفالية ايراد

صورخاصة بتجمع أهالي الخميس أمام المسجد للدعاء تبركا بالموسم المقبل بحضورالامام

صور خاصة ببعض السكنات و الممرات الخاصة ببلدية الخميس

ILOT
15

-

الفهرس العام

مقدمة عامة.....3

فصل تمهيدي.....6
أسباب إختيار الموضوع.....7
الدراسات السابقة.....7
أهداف البحث..... 9
صعوبات البحث.....10
الإشكالية.....10
الفرضية.....11
الإطار النظري.....11
المنهج.....12
المفاهيم الإجرائية.....12
الفصل الأول:دراسة سوسيولوجية حول مجتمع بني سنوس.....16
تمهيد.....17
الموقع الجغرافي لبني سنوس.....18
تضاريس المنطقة.....19
النسيج العمراني.....22
الجانب الاقتصادي.....24
لمحة تاريخية حول دائرة بني سنوس.....26
الفصل الثاني:التويزة ممارسة بين الماضي و الحاضر.....29
تمهيد.....30

نشأة التويزة.....31
ممارستها.....32
تطورها.....39
أهميتها.....45
الفصل الثالث:الدراسة الميدانية.....49
تمهيد(التقنيات البحثية).....50
المبحث الأول:عرض نتائج الدراسة الميدانية(ملخص المقابلات).....52
المبحث الثاني:تحليل و تفسير النتائج.....58
المبحث الثالث:مناقشة النتائج.....88
المبحث الرابع:مناقشة النتائج و التأكد من الفرضية.....110
المبحث الخامس:المناقشة العامة.....114
نتائج عامة.....115
الخاتمة.....117
المراجع.....119
الملاحق..... 128
الفهرس العام.....157

ملخص:

تلعب الظروف الاجتماعية في بني سنوس دورا هاما في قيام ظاهرة التويزة، هذه الأخيرة التي تعبر عن نشاط جماعي مؤقت من أجل تحقيق هدف مشترك بغية رفع المشقة أو الضرر عن الفرد أو المجتمع فهي تزيد الفاعلية لتحقيق أهداف المجتمع، لكن التفسير الاجتماعي في مختلف أنساق البنية الاجتماعية، اتجه بهذه الممارسة من علاقات تعاونية تميز العائلة الموسعة إلى علاقات تنافسية تميز العائلة البسيطة، إضافة الى عوامل أخرى أدت لعزوف العديد من العائلات عنها.

الكلمات المفتاحية: التنشئة الاجتماعية، العادات والتقاليد، الدين

Résumé :

A Beni Senous , les condition de vie sociales participent à l'apparition du phénomène de Touisa. Cette dernière est une activité collective momentanée qui montre la participation d'un groupe de personnes pour la réalisation d'un but commun afin d'enlever l'incapacité, mais le changement social dans différent structures a montré ce phénomène comme réalisation de concurrence caractérisant la petite famille au lieu de réalisation de solidarité caractérisant la grande famille, plus les différents facteurs qui ont diminué le pratique de Touisa.

Mots clef : La socialisation, les rites, le religion, Touisa.

Summary :

The social condition uras the important causes to appair the phenomen of Touisa in Beni Senous. This practice wish is an activity doing by a number of people has a social goal. But the prgressing in complexe familly in Beni Senous to simple familly affect this practice, it go to the relation of concurrence and this specify influence the continue of Touisa in Beni Senous.

Key words : Socialisation, religion, Touisa